صبّ العذاب

على مُحرِّفِ العقيدة في الأَصْحَاب

«نقدٌ لجهالة عبد الصمد المَغناوِي التي ردّ بها علىٰ الشيخ عبد الخالق ماضي»

لأبي معاذ محمد مرابط

-عفا الله عنه وعن والديه-

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كلّ منهم يعتقد أنّ الحق معه، وأنّه على السنة، فإنّ أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوًى أن ينتصرَ جاهُهم أو رِيَاسَتُهم وما نُسِب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم وإن كان جاهلا سيّئ القصد ليس له علم ولا حسن قصد، فَيُفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذمّوا من لم يذمّه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

«منهاج السنة 5 / 255»

الحمد لله وصلّىٰ الله وبارك وسلم علىٰ نبيّه وعبده محمد وعلىٰ آله وصحابته ومن اقتفىٰ آثارهم إلىٰ يوم الدين، وبعد:

فقد وقفتُ علىٰ مقالة سوء دوَّنها بوقُ الفتنة عبد الصمد المَغناوي، تظاهر فيها بنصرة أبي بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكنّ الحقيقة علىٰ خلاف ذلك فهو مشحون النفس علىٰ من كان شيخه بالأمس، لذلك تحيّنها فرصة ليظهر نار قلبه ويعتلي حائط الزعامة في منطقته، ويثبت لشيوخه المفرّقين أنّه عبدٌ مطيع يتشرّف بتلبية طلباتهم ويسعد بإدخال السرور علىٰ أنفسهم الحاقدة.

إنّ ظاهرةً أُحدِثت في هذا الزمن لتنبئ عن شرّ مستطير سيحرق الأخضر واليابس، ويُرجِع أبناء هذه الدعوة إلىٰ أزمنة العُبيديّين والبرامكة، وعصور عبّاد القبور من زنادقة التصوف والرفض، وهي ظاهرة استغلال «شرف الأنبياء والصحابة» في تحقيق أهدافٍ خسيسة وغاياتٍ قذرة، ووالله ما دفع هؤلاء المتسلقّين إلىٰ انتهاج هذا الطريق المُظلم إلاّ معرفتهم المُسبَقة بتعظيم الأمّة الإسلامية لأعراض الأنبياء والصحابة، وأنّ هذه الأمّة المباركة ستَرمي رمي النواة كلّ من تجرّأ علىٰ هذه المقامات الشريفة، لكن غفل هؤلاء أنّ الله لهم بالمرصاد وأنّه مخرج ما تكنّ قلوبهم، وأنّه لا يُظلم عنده مثقال ذرّة، وأنّه سبحانه قد عجّل عقوبة البغي في الدنيا قبل الآخرة!

وإنّني لأخشىٰ أن يُفتنَ -ولو بعد حين- كل من استغلّ مسألة الأنبياء والصحابة لتحقيق مآربه الدنيئة، وتكون فتنته في هذه المسألة التي استغلّها! جزاء وفاقا، والجزاء من جنس العمل، رحمةً من الله بعباده وعدلا بينهم ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾.

وقد رأيت «مَفْتُونَ مَغنِيّة» قد وقع علىٰ أمّ رأسه في مقالته الرديئة فقرّر ما لم يقرّره أهل السنة في عقائدهم في الصحب الكرام، وحرّف بجهل مُطبق أقوالهم، وسلك طريقا مخالفا للكتاب والسنة وناقض ما أجمع عليه أهل الحديث وأصحاب الأثر جيلا بعد جيل.

وفوق كلّ هذا أظهر في مقالته هذه سوء أدب منقطع النظير، وتعاظم وتفاخر بأسلوب لم نعرفه حتّىٰ من حزبه، وأجرىٰ في مقالة السوء قلمَ التعالي الذي مُنِح له في هذه الفتنة ليستطيل به في أعراض الشرفاء، وضربَ بمقالته هذه أفضل مثال علىٰ صدق ما عابَه علىٰ هؤلاء إمام زمانه وحامل لواء الجرح والتعديل في وقته ربيع السنة –حفظه الله– عندما شخّص مرضهم، ووصف داءهم، وأخبر عن تربيّتهم السيّئة، وأنّهم لم يتربوا التربية السلفية! فلله درّه من طبيب حاذق.

لذلك أُراني مضطرا لأعيد في هذا الموضع ما وضّحته من سوء أدب الرجل يوم أن رددتُ عليه، حتّىٰ يعلم القارئ أنّ هذا المُختال قد رضي لقلَمه هذا الأسلوب الفظيع في مخاطبة عباد الله، وسأختصر ما جاء في ردّه علىٰ الشيخ ماضي من عبارات العجب والغرور ومن كلمات الطعن والسباب، جاعلا إيّاها في قاموس

وفي موضع واحد، لأنّي متيقّن أوّلا أنّ جمهور الناس -بما فيهم أنصاره- لا يقرؤون كتاباته، وثانيا: أنّ التاريخ سيشهد علىٰ هذه الكتابات وستبقىٰ وصمة عار في جبينه، وجبين من أزّه وفتح له الباب.

قال المُتعَجرِف:

«1-من الدعاة الذين كثرت سقطاتهم 2-وتعدّدت زلاتهم، 3-حتىٰ أصبح لا يكاد يقوم من كبوة إلا ويقع في أختها، 4-بل تراه يوقع نفسه في الورطة وهو لم يخرج من مثيلاتها، 5-لكنه شأن من ناصب أهل السنة العداوة، 6-ومن آخر ما أوقع فيه نفسه من المعضلات، 7-ودخل فيه من الورطات، 8-من شؤم نفسه عليه، 9-وسوقها للشرور إليه؛ 10-أن حرص علىٰ الانتصار لها بالباطل، 11-والاعتذار لها بالدليل العاطل؛ 12-فاحتج علىٰ ظلمه الذي وقع فيه، 13-وجرمه الذي صار معروفا عنه، 14-لقد طلبتُ منك أن تسكت كما فعلت فيما مضىٰ من أيامك، 15-وأن لا تخوض في مقارعة من هو أعلم وأصدق وأرفع قدرا منك، 16-ولكنك أبيت إلا أن تلج الموالج التي لن تجد لنفسك منها المخارج، 17-وهذه الكلمة فيها من السقطات 18-والمخالفات، 19-والفضائح المجتمعات 20-ما لا ينبغي أن يقع فيها رجل من عوام السلفيين، فضلا عن طالب من طلابهم، فضلا عمن يتصدر للتدريس والتوجيه فيهم، فضلا عمن يرىٰ نفسه ندا لأهل النبوغ من علمائهم، 21-وهذه كما لا يخفىٰ علىٰ صغار أهل

السنة والجماعة من الموبقات المهلكات، 22-والمخالفات الشنيعات؛ 23-
التي تقدح في سنيّة قائلها، 24-وتناقض سلفية المتكلم بها، 25-وهذا ما يدل
علىٰ أنك لا ترجع في فهم أحاديث النبي صلىٰ الله عليه وسلم وفي ضبطها لمن
تقدمك من أهل العلم، ولمن سبقك من أهل الدراية والفهم، 26-وفعلك هذا
ولا مؤاخذة دليل علىٰ التعالم، 27-والتعاظم، 28-والجرأة، 29-والجسارة،
30-أما المتعالمون 31-المتعاظمون فإنهم عن العلماء منفصلون وللصلة بهم
قاطعون 32-والنتيجة هي أنهم علىٰ رؤوسهم يسقطون، 33-يدل علىٰ شناعة
ما وقع فيه الدكتور هداه الله، 34-وفظاعته، 35-وقبحه، 36-وبعده عن الحق
الذي يجب المصير إليه واتباعه، 37-افتريت علىٰ الصديق ما لم يقله ويفعله،
38-يا من توصي طلبة العلم بالقراءة في كتب السلف وأنت بعيد عن الاهتداء بها
للأسف، 39-فأين أنت يا دكتور من هذه الأصول السلفية والقواعد السنية؟ أم
أن الأمر لما تعلق بشخصك والدفاع عن نفسك تركتها 40-وتنكبت طريقها؟
41-إن السلفي يا دكتور لا يخالف أصول منهجه مهما كان الذي ألمّ به ووقع له،
42-أما أنتم مع الأسف الشديد فكثرت مخالفاتكم لها لأدنىٰ سبب وبلا سبب،
43-فعوض أن تتوب من ظلمك الذي اعترفت به، 44-وجرمك الذي أقررت
بوقوعه، 45-ذهبت تعتذر لنفسك بعذر هو أقبح من ذنبك، 46-ألم يكن كافيا
لك أن تتوب من ظلمك، 47-لماذا لم تبادر أنت للتحلل والتوبة مما وقعت فيه

48-وصرت تحتج بالأباطيل عليه؟ 49-بسبب فهمك الأعوج له، 50-
فتركت أنت أيها الدكتور سبيلهم، 51-وتنكبت طريقهم، 52-وجعلت
الحديث مطية للطعن فيه والانتقاص من قدره، فصار دليل المدح عندك دليل
قدح، 53-واعلم يا دكتور! أن هذه الوجوه كلها تعتبر فضائح فضحك الله بها،
54-وجئت بمنكر من القول، 55-وزور من التأويل، 56-وهذه من الفضائح
التي أوقعت نفسك فيها، 57- لأن العلم رحم موصولة وأنت قطعت رحمه،
58- بجرأتك، 59-وسوء فهمك، 60-الذي نتج عن إحسانك الظن بنفسك،
61-وهذه فضيحة عظيمة تسربلت بها، 62-وهذه فضيحة كبيرة، 63-وزلة
خطيرة، 64-تتحمل تبعة من أخذها منك، 65-وهذه فضيحة الفضائح 66-
أنك تجهل البديهيات من معتقد أهل السنة، 67- وهذه فضيحة جسيمة حيث
قلبت الدليل علىٰ عقبه ورددته عن وجهته 68-بانحراف فهمك 69-أو سوء
قصدك ، 70-وهذه فضيحة عظيمة فضحك الله بها، 71-وأظهرك علىٰ حقيقتك
72- وأخيرا أقول لكل من تعصب للدكتور، 73-ويدافع عنه بالباطل 74-من
أمثال الهابط، 75- والبَليدي وغيرهما، ما هو موقفكم الآن من هذا المتجني،
76-الظالم، 77-والمعتدي، 78-وسكتم علىٰ كذب الدكتور، 79-ثم أخيرا
أقول لعبد الغني خاصة، لقد تقدم وأنْ دافعتَ عنه ورددت بعض ما ينتقد عليه،
80-فما قولك في هذه القذائف الثلاثة، 81-أتجد له مخرجا شرعيا منها، 82-

أم أنك ستسلك سبيل التأويل الباطل لتعتذر له من الوقوع فيها؟ 83-يا شيخ عبد الغني دعك ممن لا يغني عنك شيئا في الدنيا ولا في الآخرة، 84-ويغمسك في الشر والانحراف من أخمص قدميك وإلىٰ آخر شعرة، 85-عد إلىٰ الجادة التي كنت مستورا بسترها، 86-وإياك والطرق الحائدة فإن الفضائح تأتي معها متحدة».

إنّ الواقف علىٰ هذا الأسلوب البارد ليعتقد لأول وهلة أنّ خِطاب الكاتب موجّه إلىٰ أحد طلبَته، أو إلىٰ خصم من ضُلاّل المبتدعة! أو أنّ الكاتب قد جاوز الخمسين أو الستين لشدّة ما يُرىٰ من زهوه بنفسه وولوعه بتحقير واستصغار المردود عليه، لكن هي التربية السيئة.

وأذكّر القارئ الكريم أنّ قاموس الشتائم والغرور هو في الحقيقة مستلٌّ من مقالة صغيرة فكيف لو كتب مجلّدا كبيرا؟! فقلم الرجل منفلت منه لا تحكُّم له فيه، لأنّه أسلمه لهواه فجرّه في كل الاتجاهات إلاّ اتجاه الأدب، وهنا تبرز قيمة الإنصاف في الكتابة والنقد عند أهل السنة، بل عند عقلاء البشر!

إنّ من وقف علىٰ كتاب «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي ردّ فيه علىٰ رأس من رؤوس الرفض، ليجد فيه من الإنصاف والأدب ما لا يجده في مقال هذا المُتعجرف الجاني، لذلك جعل الله القبول لهذا الكتاب حتّىٰ أتعب من بعده، ومن أمثلة ذلك الإنصاف قوله رحمه الله «1 / 44»: «وينبغي أيضا أن يعلم

أنه ليس كل ما أنكره بعض الناس عليهم يكون باطلا، بل من أقوالهم أقوال خالفهم فيها بعض أهل السنة ووافقهم بعض والصواب مع من وافقهم»، وسردُ نظائر هذا الكلام لا يتحمله هذا المقام، لكن من تأمل كتب ابن تيمية عرف أنّ طود العدل شمخ في مؤلفاته، فتراه يورد كلام المبتدعة والزنادقة ويقول: «**إن أريد به كذا**»، حتّىٰ لا يَحمِل كلامهم علىٰ غير مرادهم.

أمّا رحمة الخلق فقد نسج في ذلك أجمل القصص، فيقول مثلا رحمه الله عن نُصير الدين الطوسيّ كما في «المنهاج 2 / 495»: «**وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه عند المسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ويوصف، ومع هذا فقد قيل: إنّه كان في آخر عمره يحافظ علىٰ الصلوات الخمس، ويشتغل بتفسير البغوي وبالفقه ونحو ذلك، فإن كان قد تاب من الإلحاد فالله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، والله تعالىٰ يقول: ﴿يا عبادي الذي أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾**». فانظر يا راعاك الله مع أنّ القصّة غير ثابتة عند شيخ الإسلام مع ذلك ساقها تحفّظا وخوفا من الله.

ويقول أيضا رحمه الله في «المنهاج 3/ 409»: «**وهذا الذي ذمّه الجنيد رحمه الله وأمثاله من الشيوخ العارفين وقع فيه خلق كثير، حتىٰ من أهل العلم بالقرآن وتفسيره والحديث والآثار، ومن المُعظّمين لله ورسوله باطنا وظاهرا، المحبّين لسنّة رسول الله ﷺ الذابّين عنها وقعوا في هذا غلطا لا تعمّدا، وهم يحسبون أنّ هذا نهاية التوحيد**».

الطليعة في نقض التهويلات الشنيعة

قصدت بهذه الطليعة إفادة القارئ بمختصر للحادثة، وبيان موجز لحقيقة ما انتقده المُتعجرف علىٰ الشيخ ماضي –وفقه الله– وهذه الطليعة تهيّئ له استيعاب الرد التفصيلي اللاّحق، وتفسح له ما ضيّقه عليه الجاني المعتدي بكثرة كلامه وثرثرته التي أضحت علامة فارقة علىٰ كتاباته.

قال الشيخ عبد الخالق –وفقه الله– في كلمة وجّهها إلىٰ أهل «مغنيّة»، وهي الكلمة التي أخذ منها عبد الصمد ما هوَّل به:

«قالوا: تعفُو عنهُ؟ إذن هو ظالم! ما دمتَ تعفو عنه، وهذا طعن في فلان وفلان! أقول يا إخواني: كفانا صوفية، كفانا تقديسا للأشخاص، فإنّ الآفة الكبرىٰ في تقديس الأشخاص، وعلينا يا إخواني أن نُفرّق وأن نتعرف علىٰ اصطلاح أهل العلم، وألا نتكلّم بالجهل، وللأسف الشديد، الجهل سببه التقليد الأعمىٰ، والتقليد هو فرع التقديس، لهذا ينبغي علينا أن نزيل هذه القداسة علىٰ غير من أمرنا الله تبارك وتعالىٰ باتباع كلامه والاقتداء بهديه ﷺ، أين نحن من كلام الإمام مالك؟! إمام من أئمة السلف من أهل القرون الثلاثة الأولىٰ المفضلة الذي قال: «كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر وأشار إلىٰ قبر النبي ﷺ»، كيف يظلم أبو بكر ولا يظلم عبد الخالق؟! أبو بكر! الذي كانت بينه وبين عمر ملاحاة وسبّه أبو بكر كما جاء في البخاري، وطلب منه العفو ولم يعفو عنه عمر، ثم ذهب أبو بكر ليستشفع بالنبي ﷺ، لأنه يعلم أن الظلم ظلمات يوم القيامة، موقف صعب

يا إخواني يوم القيامة، لا يكون معنا أحد يدافع عنّا سوىٰ ما نقدمه من أعمال، أو شفاعة بعض من تحلّ لهم الشفاعة، ولمّا تذكر عمر أنّ الذي طلب العفو منه هو أبو بكر صاحب السابقة صاحب الفضل علىٰ الإسلام والمسلمين، الذي قال عنه النبي ﷺ: «لا أحد أمنّ عليّ في ماله وأهله إلاّ أبو بكر»، جاء مُسرعا لمّا بحث عنه عند أهله عرف أنّه عند النبي ﷺ، لما رآه النبي ﷺ جعل وجه رسول الله ﷺ يتمعّر، فلمّا رأىٰ أبو بكر ذلك من رسول الله ﷺ أشفق علىٰ أخيه عمر، خشي أن يغضب عنه النبي ﷺ فيحلّ عليه العذاب نسأل الله السلامة والعافية، لأنّ النبي ﷺ إذا غضب، غضب الله لغضب رسوله ﷺ، جثا أبو بكر علىٰ ركبتيه وأخذ يقول: والله يا رسول الله أنا كنت أظلم، والله يا رسول الله أنا كنت أظلم، صدّيق هذه الأمّة يا إخواني ما هذه القداسة التي وقعت التي لبسها هؤلاء المتأخرون أن فلانا لا يتكلم من فراغ؟!...».

كما تشاهد أخي القارئ هذا هو الكلام بنصّه كاملا، فتأمّله لأنّك لن تجده في ردّ عبد الصمد الذي ضيّع الأمانة العلمية، ولم يكن منصفا لا في نقله ولا في نقده، وشأنه في ذلك شأن الكثير من كتّاب الفجأة، فتراهم يستخِفّون بعقول القرّاء، ويهملون ركائز أساسية في الكتابة عليها يبني القارئ تصوّره للمسألة، ومن أوكدها نقل كلام المردود عليه، لأنّه يوجد من القرّاء من يمتلك من الأهليّة والبصيرة ما يجعله قاضيا يقضي بالحق وهو يقرأ، فلا أقلّ من إفادته بكلام المردود عليه حتّىٰ تظهر قيمة الرادّ، ولا يكفي في ذلك اقتطاع ما يحلو للكاتب

اقتطاعه من كلام المنتقَد، وإذا نظر القارئ إلىٰ تهويل عبد الصمد ووزَنَه بما يراه من كلام الشيخ يعرف وقتها مقصدي من هذا التنبيه.

وبعد أن نقلت كلام الشيخ بنصّه، أنقل للقارئ الكريم كلام عبد الصمد الذي فسّر به كلام الشيخ ووجّهه انطلاقا من تصوّره المشوّش، ولك أن تحكم بنفسك هل كلام الشيخ يحتمل ما أورده هذا الحاقد أم لا.

قال المُتَعجْرِف: «الفضيحة السابعة: أن ممّا هو متقرر في دين الله ومعلوم من شريعة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن الواجب علىٰ العبد إذا وقع في الظلم أو صدر منه شيء محرم أن يتوب إلىٰ الله ويرجع إليه سبحانه لا أن يعتذر لنفسه ويبحث عن شيء يتدرع به كما صنعت أنت أيها الدكتور! فعوض أن تتوب من ظلمك الذي اعترفت به وجرمك الذي أقررت بوقوعه ذهبت تعتذر لنفسك بعذر هو أقبح من ذنبك إذ جعلت عذرك نسبة الظلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وكأنك تريد أن تقول إذا وقع الظلم من أبي بكر رضي الله عنه فلماذا تؤاخذونني علىٰ الوقوع فيه، فأقول لك يا دكتور! هل سلك مثل هذا المسلك أحد من أهل العلم قبلك، ألم يكن كافيا لك أن تتوب من ظلمك كما أمرك ربك وسن لك نبيك صلىٰ الله عليه وسلم؟ أتترك الطريق المشروع وتسلك السبيل الممنوع؟»

فقارن أخي القارئ بين النقلين لتعرف الحقيقة في أوضح صورة، فالشيخ احتج بالقصّة ونقلها في سياق نقض ظاهرة التقديس التي أضعفت عقائد الناس في قلوبهم، وضرب مثلا بنفسه، ليظهر للناس أنّ الرجل مهما علت منزلته فهو عرضة

للتقصير في حقوق الناس، بل حتّىٰ في حقوق نفسه، فجميع النّاس مطالبون بالتواضع، أما عبد الصمد فحّور القضية وحرّف مقصود الشيخ من كلامه ووجّهه بتوجيه المتحامل علىٰ خصمه، وبيّن أنّ الشيخ ذكر القصة ليقول للنّاس بأنّني معذور في الظلم الثابت عنّي لأنّ الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظلم فكيف لا أظلم، نعوذ بالله من قول الزور، والعمل به.

لقد انتقد عبد الصمد الشيخ عبد الخالق في مسألتين:

الأولىٰ: إخبار الشيخ أنّ أبا بكر سبّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ونسبته ذلك إلىٰ البخاري.

الثانية: قول الشيخ: كيف يظلم أبو بكر ولا يظلم عبد الخالق.

ثم بنىٰ عبد الصمد وجماعته الباغية، علىٰ كلام الشيخ تهجّمهم الهمجيّ، وكلامهم السوقي، واتّهموا الشيخ بالطعن والإساءة لصدّيق الأمّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأظهروه وكأنّه رافضي، وطعنوا في علمه وكأنّه من أجهل الناس بمسائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وجوابهم من وجوه:

أوّلا: ليس الشيخ عبد الخالق بأول من رُمي بفاقرة «الطعن في الصحابة»، بل هو ابتلاء عظيم مرّ عليه أخيار في هذه الأمّة، وأوّل من رمي بهذه الفاقرة هم الصحابة أنفسهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فرماهم الروافض من جهة ببغض عليّ والحسين وباقي أهل البيت، واتّهموا الصدّيق وعمر بظلم فاطمة، ومن جهة أخرىٰ رماهم فئامٌ من

الغلاة بالطعن في الشيخين وفي عثمان ومعاوية ﷺ، كما هو صنيع أتباع المَروانيّة والعثمانية والنواصب عموما.

ثمّ اتّهم بعدهم جبال من أئمة الإسلام، بنفس التّهمة، وعلىٰ رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد جاء في كتاب «جلاء العينين صفحة: 72» للعلامة الآلوسي رحمه الله أن أعداء شيخ الإسلام زعموا – كاذبين – أن الشيخ يطعن في الصحابة ﷺ ونقل عن بعضهم قوله: «**ولم يقنع بسب الأحياء حتىٰ كفَّر الأموات، ولم يكفِه التعرض علىٰ من تأخر من صالحي السلف حتىٰ تعدَّىٰ إلىٰ الصدر الأول**».

واتُّهم كذلك الشاطبي رحمه الله بنفس التهمة، قال رحمه الله في «الاعتصام 1/ 19»: «**وتَارةً نُسِبتُ إلَىٰ الرَّفضِ وبُغضِ الصَّحابَة ﷺ بسبَب أنِّي لَم أَلتَزِم ذِكرَ الخُلَفاء الرَّاشِدين مِنهُم فِي الخُطبَة علَىٰ الخُصُوص**».

وفي عصرنا اتُّهم الإمام المحدث الألباني رحمه الله بنفس التهمة، بل شُنّع عليه ورُمي بسبّ أمّ المؤمنين عائشة ﷺ، وأكثر من نشر هذا لاسيما في بلادنا الجزائر المتصوّفة والروافض وما تشنيع بوروبي عنّا ببعيد!

وكذلك رُمي الإمام ربيع المدخلي حفظه الله بسبّ الصحابة ﷺ وعدائهم، وتولّىٰ كبر هذه الفرية جماعة أبي الحسن المأربيّين لكن الشيخ أدّبهم بأدب الصدق والرجولة وتراجع فورا عن خطئه الذي انتُقِد فيه.

قال –حفظه الله– في مقاله «الكرّ علىٰ الخيانة والمكر ص: 2–3 بتصرّف»: «**وما صدر منّي من عبارات في حقّهما، فإنّه من سبق اللّسان قطعا مثل قولي في خالد** رضي الله عنه: **يلخبط، أستغفر الله وأتوب إلىٰ الله منه، وما قلته في حقّ سمُرة، فهذه عبارة منّي سيّئة أستغفر الله وأتوب إليه منها وأحذر الناس منها ومن أمثالها، وإنّ قلبي ليعتصر ألما من تلك العبارات وأرجو أن أكون من الواقفين عند كتاب الله وسنة رسول الله** ﷺ».

فتهويل المفرقّين لا يختلف عن تهويل من سبقهم من المُبتدعة، وأراجيفهم لا تنطلي إلاّ علىٰ صغار السنّ السّذج الذين لم يعايشوا وقائع هذه الدعوة، ولم يرتووا من مَعين العلم الشرعي، ليفرّقوا بين الصحيح والفاسد، ولم ينظروا في كتب أهل السنة ليعرفوا الطرق الشرعية في معالجة أخطاء المشايخ والعلماء.

ثانيا: يعلم من هو قريب منّي أنّني أنكرت كلام الشيخ عندما رأيت حملة المفرقين وقلت: الشيخ أخطأ في هذا، وكنت علىٰ يقين أنّ الشيخ سيرجع وهذا الذي حدث بفضل الله ورحمته.

ما هو وجه خطأ الشيخ –وفقه الله–:

إنّ تخطئة الشيخ في إثباته لفظة «السب»! هو في الحقيقة مجرد تنبيه له علىٰ سهوه عندما أدرج كلمة في نصّ نبويّ وهذا يحدث كثيرا حتىٰ للأئمة والحفاظ، وإلاّ لما احتاج علماء الإسلام إلىٰ تأليف كتب «التصحيف» و«الوهم والإيهام» لإتمام النقص الحاصل في العمل البشري.

أمّا أن يشنّع علىٰ الشيخ وكأنّه نسب جريمة لأبي بكر ﷺ، أو ألصق به تهمة شنيعة، فهذا من جهل عبد الصمد وزمرته بلغة العرب وبمسائل الدين، ومن تحامله وحقده، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل.

أمّا نِسبة الظلم لأبي بكر ﷺ فنقول نعم أخطأ الشيخ، لا لأنّ الصدّيق معصوم لا يظلم! كما قرّره عبد الصمد في مقاله! وإنّما أخطأ الشيخ في توظيف نصّ هذه القصّة فأراد شيئا صحيحا لكنّه تلفّظ به خطأ! فهو أراد –وفقه الله– أن يقول: هذا أبو بكر ﷺ، الصدّيق العظيم وصاحب رسول الله ﷺ وقد نسب إلىٰ نفسه أنّه ظلم عمر ﷺ فكيف لا أظلم أنا ولا تظلم أنت! يوضّحه سياق الكلام كما سيأتي، لأنّه كان في معرض الردّ علىٰ من قدّس نفسَه فقدّسه الناس، وصار يعامِل الخلق وكأنّه معصوم لا يخطئ، لكن الشيخ خانه التعبير وكان يريد ما أراده الإمام ابن بطّة رحمه الله عندما ساق في «الإبانة 77» أثر أبي بكر الصديق ﷺ حيث قال: «**لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به وإني لأخشىٰ إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ**»، قال ابن بطة رحمه الله: «**هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوّف علىٰ نفسه الزيغ إن هو خالف شيئا من أمر نبيه ﷺ فماذا عسىٰ أن يكون من زمان أضحىٰ أهله يستهزئون بنبيّهم وبأوامره**».

ثالثا: لقد أجمع العقلاء من أمّة محمد ﷺ أنّ صاحب الفضل والسبق ومن عُلمت عقيدته السلفية وظهر منهجه السليم، أنّه لا ينبغي أن يُعامل –إن هو أخطأ– معاملة

أهل البدع، حتىٰ ولو أخطأ في الأصول، فيُصبر عليه ويُنصح ويُتلطّف معه، بهذا قال أهل الحديث والأثر، ولم يخالف في ذلك إلاّ الحدّاديّة وأسلافهم المارقين.

يقول الله تبارك وتعالىٰ في كتابه: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾ [البقرة:286]، وقد جاء في «صحيح مسلم: 199» أنّ الله تبارك وتعالىٰ قال: «**قد فعلت**».

وأخبر النبي ﷺ كما في «صحيح مسلم: 6960» عن ذلك الرجل الذي تلفّظ بالكفر الصريح وادّعىٰ –بظاهر لفظه– الربوبية! فقال بعدما وجد راحلتَه: «**اللّهم أنت عبدي وأنا ربّك**»! فهل هذا الخطأ أسهل يا عبد الصمد من قول الشيخ ماضي في أبي بكر رضي الله عنه؟! ومع ذلك عذره رسول الله ﷺ بل عذره ربّه سبحانه لأنّه أخطأ من شدّة الفرح! فما لكم لا تعذرون عباد الله؟!

ومن لطائف الباب أنّ شيخ الإسلام رحمه الله اعتبر عقيدة القائل في مسألة تكفير سابّ الصحابة رضي الله عنهم، فقال رحمه الله كما في «الصارم 2/ 1108»: «أمّا من **اقترن** بسبِّه دعوىٰ: أنّ عليًّا إله، أو أنّه كان هو النبيّ، وإنما غلط جبريل في الرسالة، **فهذا لا شكّ في كُفرِه**، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره»، لأنّه أظهر زندقته وأبان عن قصده من السبّ.

ثم يقال لهؤلاء: إنّ العقلاء إذ يُنكرون عليكم هذا الإقذاع والإيغال في الطعن والسب، فهم في نفس الوقت يرحّبون بانتقاد العالم مهما علا كعبه، لأنّ دين الله

أحقّ بالصيانة، وإنّما يشترطون في ذلك إقامة العدل وإظهار الحجج، وحفظ كرامة من عرف بسلامة عقيدته، لأنّ القصد هو بيان الخطأ وليس القدح في المخطئ والنيل منه، يقول ابن القيم رحمه الله في «الإعلام 1/ 420»: «**من المعلوم أن الْمَخُوفَ في زَلّة العالمِ تَقلِيده فيها، إذ لولا التَّقْلِيد لم يُخَفْ من زَلة العالم علىٰ غيره، فإذا عَرَفَ أنها زلَّةً لم يَجُزْ له أن يتبعه فيها باتفاق المسلمين فإنه اتِّبَاعٌ لِلْخَطَأِ علىٰ عَمْد ومن لم يعرف أنها زلة فهو أَعْذَرُ منه وكلاهما مُفْرِط فيما أمر به**».

فالقصد الأسمىٰ هو تحذير النّاس من خطأ المخطئ وليس التشنيع عليه وكَيْلَ التّهم إليه، وتنفيره وتنفير أتباعه بأساليب الفسّاق وقطّاع الطرق، وتشويه جهاده وتلطيخ صورته بالجهل وسوء الفهم، وهذا الذي وقع فيه عبد الصمد.

رابعا: إنّ الحامل علىٰ كتابة عبد الصمد ردّه والدافع الذي جعله يشنّع علىٰ الشيخ، هو حقد كاد يخنقه، وبغض كاد يقتله، فإنكاره ليس بالإنكار البريء، وقد أقام هو –بنفسه– الشواهد علىٰ هذا:

أوّلها: سوء أدبه وفحش أسلوبه كما مرّ بنا، ولا شكّ أنّ محبّ الخير لا يسلك مثل هذه الأساليب وإنما يسلكها من غمر قلبه الحسد والحقد.

الشاهد الثاني: الجهل المطبق الذي سيظهر للقارئ عند الشروع في بيان فساد كتابته، ولو كان حقّا معظما للعلم لترك لنفسه وقتـًا لينظر في المسألة بتأنٍّ ورويّة ويتحقق من صحة مذهبه، لكن حبّ الانتقام يُسرِّع الأقلام.

الثالث: أنّه أثار هو وزمرته -بعد هذه الحادثة- قضية أخرىٰ -لي وقفة طويلة معها إن شاء الله- حيث زعموا -قطع الله دابرهم- أنّ الشيخ ماضي طعن في النبي ﷺ، وقد كشفوا بهذا التصعيد عن سوء طويّتهم، وأنّهم علىٰ سنن الحداديّة سائرون، فالحدادي لا يطيب له عيش حتىٰ يلجَ السلفيّ قبرَه ولعلّه لا يهنأ.

والشاهد الرابع: وهو أهمّها: ما ختم به مقاله وأنا أنقله للقارئ حتىٰ يسأل ربَّه العافية ويتحقق من شرّ هؤلاء، فالرجل يكتب وذهنه عالق بما يجري في الساحة، وقلبه مرتبط بالمُقدَّسين من شيوخه، ولم يتفطّن إلا وهو يكتب ما جال في خاطره في هذه المقالة التي كان من المفترض أن تكون خالصة في الدفاع عن صدّيق هذه الأمّة رضي الله عنه.

قال المتعجرف في خاتمة كتابته «والمتعجرف هو المتكبّر المتغطرِس»:

«أقول: من المفترض فيمن طعن في الشيخ أزهر حفظه الله مظهرا الغيرة علىٰ عالم من علماء الأمة أن يظهر طعنه ويعظم نكيره بشكل أشد علىٰ من طعن في الصديق الأكبر غيرة عليه وانتصارا له، ولكننا لم نر فيكم منكرا ولا للصديق الأكبر منتصرا فأين هو المنهج السلفي وأين هي الاستقامة الحقيقية عليه، وأعود فأقول: صدق شيخنا العلامة محمد علي فركوس حفظه الله حينما وصف منهجكم بالمنهج الاحتوائي والمطاطي الذي يشمل الجميع إلا من خالفكم وتكلم فيكم فهو الصنف الوحيد الذي تناله سهامكم وتعلنون عليه حربكم، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصفتم الشيخ الصادق أزهر حفظه الله بالكذاب وسكتم علىٰ كذب الدكتور بل وعلىٰ حلفه عليه مرات متعددات وكرات متتاليات، ثم أخيرا أقول لعبد الغني خاصة لقد تقدم وأن دافعت عنه ورددت بعض ما ينتقد عليه فما قولك في هذه القذائف الثلاثة التي خرج بها مؤخرا علىٰ أهل السنة: فوصفهم أولا بمنهج الخوارج وحكم عليهم ثانيا بالوقوع في الشرك الأكبر وثالثة الأثافي طعنه في الصديق الأكبر أتجد له مخرجا شرعيا منها أم أنك ستسلك سبيل التأويل الباطل لتعتذر له من الوقوع فيها؟ يا شيخ عبد الغني دعك ممن لا يغني عنك شيئا في الدنيا ولا في الآخرة ويغمسك في الشر والانحراف من أخمص قدميك وإلىٰ آخر شعرة، عد إلىٰ الجادة التي كنت مستورا بسترها وإياك والطرق الحائدة فإن الفضائح تأتي معها متحدة». انتهىٰ

بعد هذا الكلام المفضوح كيف لا يحكم عليك العقلاء يا عبد الصمد بأنّك تكتب لأغراض أخرىٰ لا علاقة لها بنصرة الدين، والغيرة علىٰ حملته من أصحاب رسول الله ﷺ؟! فأيّ بلاء أوجع من هذا البلاء؟! عندما يستغلّ خصمك الحاقد زلّتك ثم يهرول متظاهرا بالغضب لله والغيرة علىٰ حدوده!

وما أحسن كلام العلامّة ربيع السنة الذي وجّهه لأشباه عبد الصمد عندما انتقدوه في كلامه حول الصحابة، قال –حفظه الله– في «الكر علىٰ الخيانة والمكر ص: 3»:

«وإنّي لآسف أشد الأسف أن الذي بحث عنها وفرح بها وأخرجها للناس لم يفعل ذلك غيرة علىٰ دين الله ولا محبة وإجلالاً لأصحاب رسول الله ﷺ، وإنما حميّة

جاهلية لأناس تافهين لا يساوون غبار نعل صحابي من أصحاب محمد ﷺ، وإن هذا ليدلّ علىٰ مدىٰ الانحدار الذي وصلت إليه هذه الأصناف التي توالي وتعادي من أجل أناس تافهين ساقطين وأصحاب مناهج فاسدة ولا يوالون ويعادون من أجل منهج الله ومنهج أنبيائه ورسله ومنهج الصحابة العظام والسلف الكرام الذي ندين الله به وندعوا إليه ونذب عنه وعنهم».

نعم صدق حفظه الله إنّها الحميّة الجاهليّة! وإلاّ فقولوا بربّكم يا عقلاء البلاد:

أين كان هؤلاء يوم أجلبت إيران بخيلها ورجلها علىٰ بلاد الجزائر، وسُلّطت أقلام الحاقدين وأصواتهم علىٰ أعراض المهاجرين والأنصار؟! أين كان هؤلاء يوم سُوّدت صفحات الجرائد بسب الصحب الكرام، وأُعلن في القنوات النيل من أعراضهم الشريفة؟ أين كانت جهودهم وفتاويهم يوم أن طعن مرّاني في عثمان رضي الله عنه؟ أين كانت كتاباتهم ومقالاتهم يوم انتَقَصَ بو عقبة أبا هريرة رضي الله عنه؟ أين كانوا يوم أن كشف الشرفاء مطاعن سلايمية في معاوية رضي الله عنه؟ أين كانوا؟ أين كانوا؟

لقد علموا من جاهد واجتهد وكافح وصبر واصطبر في هذه القضية! وعلموا من الذي قام لله وانتصر لأصحاب رسول الله ﷺ! ومن كان يحرّك المتخاذلين ويدفعهم من الخلف ليكتبوا ويخطبوا ويفتوا، لكن وقع ما لم يكن في الحسبان فقام هؤلاء عونًا للروافض وهم لا يشعرون، وحاربوا كلّ من كان واقفا في وجه الزنادقة وألحقوا به كلّ شرّ، وعاقبوه بأقسىٰ أنواع العقوبات، ويكفي منها فتواهم بحرق كتبهم التي انتصرت للصحابة رضي الله عنهم، فأيّ خزي أشدّ من هذا الخزي؟!

وأقول لهم:

إن لم يسلّم الله فستكون الأيّام القادمة لحبلىٰ بالمصائب التي ستعصف بالأمّة، وستَظهر كما ظَهرت من قبل وزيادة، أقلام وألسنة أعداء الله منغمسةً في أعراض المهاجرين والأنصار، ويومها ستَمتحنُ الأمّة غيرتَكم، وينظر العقلاء إلىٰ صدق دعواكُم، فجهّزوا أنفسكم، وأبقوا أقلامكم مرفوعة، وأرجو ألاّ تخذلوا الصحاب الكرام عندما تقرع طبول الحرب علىٰ أعراضهم الشريفة ﷺ.

فإن كنتم صادقين في الدفاع عن أبي بكر وإخوانه ﷺ، فدونكم ساحات الوغىٰ، واكتبوا الرسائل والمجلّدات، وسجّلوا الدروس والمحاضرات، وأقيموا الدورات والندوات، واطبعوا الرسائل والمطويات، علّموا العامّة ونوّروا المجتمعات، وانصحوا المسؤولين والسلطات، واكشفوا عن رؤوس الروافض اليانعات، فهذه أعمال من ينتصر لدين الله حقّا، ولا يوقفه إلاّ الموت، أما أن تجتهدوا عندما ينبو قلم السلفيّ ويزلّ لسانه، فهذه والله ورطة القلوب المريضة، فاتقوا الله فالحساب عسير، اتّقوا الله فهو العزيز الجبار القدير، لا تتاجروا بأعراض الصحب الأكرمين، ولا تستثمروا في محبّة المسلمين لهم، وإن كنتم ولابدّ فاعلين فأخرجوا طلبة العلم –وليس فيكم واحد منهم–، حتّىٰ لا تظهر عورتكم للعميان، كما حصل مع الجنديّ في «ثكنة التقديس» عبد الصمد، فجريمة والله أن تسوء نيّة الرجل ثم يسوء كلامه أيضا! فارحموا الأمّة وقدّموا من يفهم عقائد المسلمين علىٰ وجهها الصحيح.

وقفات على ما صدر من المتعجرف من بليّات

وقبل الشروع في المقصود أودّ من القارئ أن يتذكر في أثناء التعليقات شيئا مهمّا حتىٰ يخفّف عنه وطأة الدهشة التي ستملك قلبه، وهو تحامل عبد الصمد الذي رضي لنفسه سبيل الهوىٰ، والتزمه وتشبّث به في كل كتاباته في هذه الفتنة، وهذا التحامل جعله يتعثّر كثيرا ويفقد كنزا ثمينا ألا وهو الإنصاف، لأنّ الحديث في عقائد الناس لا يوفّق فيه إلاّ أصحاب الإنصاف والصدق.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في «الجواب الصحيح 1 / 107 – 108»:

«ولما كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل، كان كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار، وأهل البدع بالعلم والعدل لا بالظن، وما تهوىٰ الأنفس، ولهذا قال النبي ﷺ: القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة، رجل علم الحق وقضىٰ به فهو في الجنة، ورجل علم الحق وقضىٰ بخلافه فهو في النار، ورجل قضىٰ للناس علىٰ جهل فهو في النار، رواه أبو داود وغيره، فإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض -إذا لم يكن عالما عادلا- كان في النار، فكيف بمن يحكم في الملل، والأديان، وأصول الإيمان، والمعارف الإلهية، والمعالم الكلية بلا علم، ولا عدل؟ كحال أهل البدع والأهواء»، إي والله يا ابن تيمية! صدقتَ رحمك الله وطيب الله قبرك! كيف بمن يحكم في الملل، والأديان، وأصول الإيمان، والمعارف الإلهية، والمعالم الكلية بلا علم، ولا عدل؟ كصنيع عبد الصمد وزمرته!

بسم الله أبدأ

قال المُتَعجرِف: «ومن آخر ما أوقع فيه نفسه من المعضلات، ودخل فيه من الورطات؛ الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، بل الطعن في أفضلهم وخيرهم ومقدّمهم أقصد الصديق الأكبر».

التعليق من وجوه:

أوّلا: انظر -يا من نجوتَ من حبائل الهوىٰ- إلىٰ نبرته التي توحي بأنّ خطابه موجّه إلىٰ ماردٍ من مردَة الروافض! بل لم يقنع بقسوة خطابه حتىٰ أضاف إليها الكذب والتهويل، ففضيلة الشيخ ماضي لم يطعن في أصحاب رسول الله ﷺ! بل صدر منه خطأ غير مقصود في حق واحد منهم وهو صدّيق هذه الأمّة رضي الله عنه! فلماذا التهويل؟ ولماذا التضخيم؟ ألا تفرّق بين المفرد والجمع وأنّ سبّ عموم الصحابة تهمة خطيرة! ألم تمرّ عليك يا عبد الصمد مسائل الباب، ومنها تفريق الأئمة بين الطعن في عموم الصحابة والطعن في أفرادهم؟! ألا تعلم أن أحكاما تترتب علىٰ ذلك من تفسيق وتكفير وقتل وتعزير؟! أين هو العدل؟ يقول ابن القيّم رحمه الله «البدائع ص: 650»: «**فإذا كان قد نهىٰ عبادَهُ أن يحملَهم بُغْضُهُم لأعدائِهم علىٰ أن لا يعدلوا عليهم مع ظُهورِ عداوتِهم، ومخالفتهم، وتكذيبِهم لله ورسولِه؛ فكيف يسوغُ لِـمَنْ يدَّعِي الإيمانَ أنْ يحملَهُ بُغْضُهُ لطائفةٍ مُنْتَسِبَةٍ إلىٰ الرسولِ تصيبُ وتُخطِئ علىٰ أن لا يعدلَ فيهم؟! بل يجرّد لهم العداوة وأنواع الأذىٰ**».

ثانيا: إنّ المتشبّع بما لم يعط يا عبد الصمد كلابس ثوبيّ زور، فلا تُظهر نفسك بهذه المقدّمة وكأنّك حامي أعراض الصحابة، وكأنّ الشيخ ماضي أعلنَ تشيّعه، والمسألة لا تعدو أن تكون خطأ لفظيا غير مقصود! وإن كنت مصرّا علىٰ فعلتك فعلىٰ الأقل تأدّب بأدب الإسلام الذي زيّن به الأئمة ردودهم، وتفضّل معي لأطلعك علىٰ درس جليل أعطاه أسد السنّة بحق العلاّمة الإمام ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله– وهو من هو في مضمار نصرة الصحابة رضي الله عنهم؟!

قال –حفظه الله– في «تنبيه أبي الحسن إلىٰ القول بالتي هي أحسن ص: 1»:

«**فأفيدكم أنّه قد قدّم لي بعض الإخوة اليمنيّين أوراقا، تضمّنت بعض أقوالكم: منها ما يدور حول الصحابة، ومنها ما فيه دفاع عن سيد قطب والمغراوي... فعلقتُ عليها بالتعليقات أبديت فيها ما أرىٰ أنّه حقّ أرجوا منكم تأمّلها ثم اعتبارها نصيحة لكم**».

هل رأيت يا رجل: كيف تعاملَ هذا الإمام مع من يُعتبر في عداد تلامذته! بخلاف صنيعك مع شيخك ماضي! هل رأيت الأسلوب الجميل والقلب الرحيم؟! هل نظرت في العنوان وتأملت في تواضع الشيخ وشفقته؟ مع أنّ أبا الحسن أخطأ في مسائل منهجية وسلك سبيل الحزبيين! أقول هذا لأنّ سبب تحاملك علىٰ الشيخ ماضي هي نفس المسائل أو أخفّ منها! فصنيع الشيخ ربيع هو درس عظيم تأمّله لعلك تنتفع به! وإن شئت فضمّ إليه درس العلامة عبد المحسن العبّاد –حفظه

الله- عندما انتصر لأبي بكرة ﷺ في ردّ علىٰ محمد الأشقر! فثمّة العلم والأدب وهناك تجد الغيرة الحقيقية وليست المزيّفة.

تنبيه: رأيتُكَ **تلتَزم** وصف أبي بكر ﷺ «بالصدّيق الأكبر»، فهل وجدتَه في حديث أو أثر؟! لأنّ المشتهر في النصوص وصفه ﷺ بالصدّيق، وإنّما عُرف عن الرافضة تلقيبهم عليّا ﷺ بالصدّيق الأكبر، واحتجّوا في ذلك بحديث موضوع أورده ابن الجوزي في «الموضوعات 637»، ونحن لا نشكّ أنّ الالتزام بلفظ رسول الله ﷺ هو الأسلم، وأنّ الصديق الأكبر عند التحقيق هو رسول الله ﷺ، ذكرتُ هذا علىٰ سبيل المباحثة، وإن شاء الله سأتطرق إلىٰ هذا المبحث في مقال مستقلّ، ومن عنده **علم** في المسألة فليتحفنا، والمقصود بالعلم هو الأخبار المروية في الباب وليس مجرد النقل عن العلماء الذين وصفوا أبا بكر بالصدّيق الأكبر!

قال المُتعجرِف: «**الفضيحة الثانية: أن الكلمة التي استندتَ عليها وهي قوله رضي الله عنه في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: "وَاللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ" في اتهامك له رضي الله عنه بالظلم والحكم عليه بالجور المحرّم لم يفسّرها علماء السنة وشراح حديثها بما فسرتها به، ولم يأخذوا منها ما أخذته وحكمت به عليه**»

التعليق:

أولا: لا تنتفخ يا حافظ مغنيّة ولا تتمايل وكأنّك وحيد زمانه، فمثلُك لا تُعتمد نتائج بحثِه إذا بحث واجتهد! فكيف وأنت من طلبة الشاملة وجوجل! قل بربّك

كيف أجزت لنفسك أن تقول: «**لم يفسرها علماء السنة وشراح حديثها بما فسرتها به، ولم يأخذوا منها ما أخذته وحكمت به عليه**»، كم لبثتَ يا رجل في طلب العلم؟! وكم قضيت في البحث والتفتيش؟ وما هي الشروحات التي وقفت عليها ونظرت فيها؟ أشيخ الإسلام أنت؟ أم أنت من أقران الألباني وحمّاد؟! تأدّب بأدب العلم واستر مقولتك بستار «الله أعلم»، وقيّد ما تعودتَّ إطلاقَه في كتاباتك، وأَعلِم القارئ أنّ هذا في حدود علمك وما وصلت إليه يد بحثك القاصرة! ولا تكن كمن وصفهم الله سبحانه في كتابه فقال: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾، ولولا أنّي لاحظتك تكثر من هذا لما نبهتك عليه.

ثانيا: لم تُتحف القارئ بتفسير الشيخ عبد الخالق للظلم الذي نسبه أبو بكر الصدّيق لنفسه في الحديث؟! وهذا قصور فاحش لا يليق بمن تصدّىٰ لنقد الأقوال والعقائد أن يقع فيه، فأنت تُزبد وتُرغي في مقالك وتزعم أنّ الشيخ خالف العلماء في تفسيرهم لكلام الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكن لم تنقل لنا تفسير الشيخ؟ أين ذكره ومتىٰ قاله؟! وإنّما نقلتَ لنّا احتجاجه بهذا الأثر في غير موضعه! أمّا تفسير الظلم فلم يقل به الشيخ وقد نقلتُ كلامه في صدر هذا المقال، فليرجع إليه القارئ ليتأكّد بنفسه أنّ المتعجرف متمسّك بطريقته في الكذب والتلبيس.

ثم ليتأمّل القارئ في كلام الشيخ الذي اقتطعه عبد الصمد، ثم انتقده، فليس فيه أيّ تفسير للظلم، وهذا النصّ الذي اعتمده المفتري: «**فقال الدكتور!؟ هداه الله: «كيف يظلم أبو بكر ولا يظلم عبد الخالق؟ ...»، إلىٰ أن قال محتجا علىٰ طعنه في**

أبي بكر رضي الله عنه ووصفه له بالظلم: "... جثا أبو بكر علىٰ ركبتيه أخذ يقول: والله يا رسول الله أنا كنت أظلم والله يا رسول الله أنا كنت أظلم صديق هذه الأمة يا إخواني»، فأين فسّر الشيخ الظلم حتىٰ تحتج عليه بتفسيرات العلماء؟!والحقيقة أنّ فهمك لم يسعفك، فحصرتَ في خاطرك معنىٰ الظلم وضيّقت علىٰ نفسك طرق الدراية وسبق إلىٰ ذهنِك وأنت لا تشعر أنّ الظلم هو ظلم فرعون وهامان وأبي لهب وأبي جهل! وسيأتي بيان ذلك في الفقرة الآتية.

قال المُتعجرِف: «بل فسّروها بكلام يتناسب مع مقامه، ولا ينقص من قدره رضي الله عنه وأرضاه؛ ومن ذلك: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح:" وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ الَّذِي بَدَأَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الْقِصَّةِ"، وقال القسطلاني في إرشاد الساري:" قال الكرماني: ظرف لقال أو لكنت وإنما قال ذلك لأنه الذي بدأ"، وهكذا قال العيني في عمدة القاري. ومن المعاصرين قال العلامة عبد المحسن العباد حفظه الله في شرحه علىٰ صحيح البخاري الشريط 316:" جثا علىٰ ركبتيه وقال أنا كنت أظلم يعني معناه أنا الذي بدأت وهو يريد المسامحة من عمر كونه بدأ بالكلام معه وطلب العفو والمسامحة" ثم قال مجيبا علىٰ سؤال وجه إليه: السائل: فأشفق أبو بكر؟ الشيخ عبد المحسن: فأشفق يعني خاف علىٰ عمر من هذا الكلام من هذا الغضب الشديد أشفق علىٰ عمر ولذلك قال له:" أنا كنت أظلم" يعني أنا الذي بدأت كان يريد إذهاب الغضب الذي حصل علىٰ عمر».

التعليق: لقد ظهر في «العلم» أمر عظيم! واستُكتِب من لا عقل له! فالرجل يُخطّئ الشيخ ماضي في تفسيره للظلم –مع أنّه لم يفسّره– ثم يسوق له أقوال العلماء الذين فسّروا الظلم بخلاف تفسيره! لكن المصيبة –كما يراها القارئ اللبيب– أنّ نقولاته لم يرد فيها أيّ تفسير للظلم! بل فيها ذكر السبب الذي جعل أبا بكر ﷺ يقسم أنّ الظلم وقع منه! فقالوا: لأنّه كان البادئ! وكلام العلامة العبّاد واضح جدّا جدّا: «**أنا كنت أظلم يعني معناه: أنا الذي..**».

وقبل أن أناقشك في قضيّة مهمّة انحرفت فيها انحرافا فاحشا، أذكّرك بأمر مهمّ قلتُه لك في ردّي عليك «الإجابات ص:28»: «**أحبّ أن أسأل عبد الصّمد وأعرف مقَامه في هذه المسالة هل هو مقام المقلّد أم مقام المتّبع الباحث عن مسائل العلم بحججها وبراهينها؟ فإن كان الأوّل يقال ليس هذا بعشّك فادرجي! وإن كان الثاني فليتفضل ولْيناقش المسألة بدليلها لا بقائلها**»، لكن اطمئنّ فلن أعيد في هذا الموضع السؤال لأنّي تيقنت الجواب! وعرفت مستواك، وإنّما أكتبُ تحذيرا من كذبك علىٰ الله وتحريفك لعقيدة المسلمين.

احذر من لوازم قولك الباطلة يا عبد الصمد!

قال عبد الصمد مخاطبا الشيخ ماضي: «**احذر من لوازم قولك الباطلة يا دكتور!**»، وأنا بدوري أردّها عليه وفي موضعها المناسب، قد نقل قول ابن حجر أنّ أبا بكر كان هو البادئ وعزّزه بقول العيني والقسطلاني والعبّاد، ظنّا منه أنّ كثرة النقولات

دليل علىٰ صحّة المقالات، ولا يدري أنّ متعصّبة المذاهب من أكثر الناس نقلا للأقوال، أمّا أهل الحديث فعمدتهم الكتاب والسنّة وما ثبت من إجماع الأمّة.

إنّ قول القائل فلان هو الذي بدأ يعتبر في عوائد الناس مَنقصة! فكيف نسبت هذا لصدّيق هذه الأمّة ورضيت به؟! مع أنّني أعتقد أنّ ابتداء الخصومة لا تنافي الطبع البشري ولا تعارض مكانة هذا الصحابي الكبير، بل نصّ الخبر ينضح بفضائله، وليس الأمر كما تريد تقريره في نفوس الناس، في كون الأفعال التي يقتضيها الطبع البشري لا تصح نسبتها للصحابة! ولكن مكمن المُباحثة الآن هو إنكارك علىٰ الشيخ ماضي اعتماده علىٰ رواية «أنا كنت أظلم»، وفي نفس الوقت تحتج بنقولات العلماء التي فيها التصريح بأنّ أبا بكر الصدّيق ﵁ كان هو البادئ! وابتداء الحوار والخصومة -سمّها كما تشاء- اعتبره الصدّيق ظُلما! فلماذا جوّزت لنفسك القول بأنّ صدّيق هذه الأمّة كان بادئا ومنعتَ قول الشيخ عبد الخالق واعتبرته مخالفا لعقيدة أهل السنة القاضية بتحريم الخوض فيما شجر بين الصحابة ﵃، وهي مهزلة المهازل سأتكلم عنها لاحقا.

فلو كنت طالب علم بحقّ لاكتفيت بنقل نصّ الشاهد من الحديث الذي فيه بيان أنّ الصدّيق هو البادئ، ولا تثقل علىٰ القارئ بالنقول التي لا طائل تحتها، ولو فعلتَ ذلك لقلتُ لك: إنّ نقلك واعتمادك علىٰ رواية تُثبت أنّ أبا بكر ﵁ كان هو البادئ، من غير تفسير لها وبيان لحقيقة ما بدأ به خطأ وانحراف، لأنّ العقلاء عادة ينفرون من البداية في الخصومات التي تنتهي بالغضب، وليس في الحوارات

الهادئة، فأنت نقلت أقوال العلماء الذين أثبتوا الرواية ولم يزيدوا عليها ولم ينزّهوا الصدّيق! وهذا -تماشيا مع قواعدك- لَهُو الضلال المبين الذي رميتَ به الشيخ ماضي وهو يعتبر -علىٰ زعمك- من الخوض فيما شجر بين الصحابة!

تحقيق مسألة الظلم التي أثارها عبد الصمد:

لقد جازف عبد الصمد -بسبب جهله بعقيدة أهل السنة في الصحب الكرام- وكاد أن يصرّح بعصمتهم، وما تقريره لمسألة الظلم إلاّ دليل علىٰ هذا الخلل الكبير الذي اعتراه في هذه المسألة، فقد كَبُر عليه أن يعتقد ويقول بموجب نصّ ثابت في أصح الكتب بعد كتاب الله، وظنّ المسكين أنّ مجرّد نقل الرجل لهذا النصّ يعتبر دليلا علىٰ استخفافه بمقامات الصحابة، ولو أنّه نظر بتمعّن إلىٰ منهجية الأئمة في إيراد هذه النصوص وتفسيرها والقول بموجبها لزالت عنه هذه الشبهة الخطيرة.

إنّ الظلم بمعناه اللغويّ هو كما ذكر الراغب في «المفردات 537»: «**والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختصّ به، إمّا بنقصان أو بزيادة، وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه**»، فالصحابة ﷺ من خلال التعريف اللغوي هم بشر قد يضع الواحد منهم الشيء في غير موضعه! فلا عيب يلحقه.

أمّا معناه الشرعيّ: فقد قال الراغب في نفس الموضع: «**يُستعمل في الذنب الكبير والذنب الصغير**»، وهذا الذي لم يفهمه عبد الصمد، حيث أشار في مجمل كلامه إلىٰ نقيض هذا وزعم بلسان حاله أنّ الظلم نوع واحد وهو في الجرم غير متفاوت.

وقد بيّن العلماء أنّ الظلم علىٰ ثلاثة أنواع، يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله في «الوابل الصيّب 19»: «**والظلم عند الله عزَّ وجلّ يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا: وهو الشرك به فإن الله لا يغفر أن يشرك به، وديوان لا يترك الله تعالىٰ منه شيئًا: وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإنَّ الله تعالىٰ يستوفيه كلَّه، وديوان لا يعبأ الله به: وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه -عزَّ وجلَّ- فإنَّ هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً، فإنه يمحي بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يُمحىٰ إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يُمحىٰ إلا بالخروج منها إلىٰ أربابها واستحلالهم منها**».

فمن فهم المسألة بدليلها علم أنّ الظلم من جملة المعاصي التي تقَع من المؤمن ولو كان من أولياء الله، والصحابة رضي الله عنهم غير مبرئين منه، غير أنّهم تميّزوا عن غيرهم بمغفرة الله لهم وتجاوزه عنهم، وكانوا رضي الله عنهم معترفين بهذا بل كان رسول الله ﷺ مقرّا به كما هو ظاهر في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وهو حديث متّفق عليه رواه «البخاري:32» و«مسلم:197»، قَالَ: لَما نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَقَالُوا: **أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟** فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ**، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم﴾».

فليس الظلم الذي نسبه أبو بكر الصدّيق إلىٰ نفسه هو كما تظنّ يا عبد الصمد! بل هو الظلم الذي نسبه حتىٰ الأنبياء إلىٰ أنفسهم، وهو اعتراف بالتقصير وهذا

الاعتراف من شيمهم عليهم السلام لعظيم معرفتهم بقدر ربّهم، فقد كان من دعائه ﷺ كما في «سنن أبي داود 1544»: «اللّهم إنّي أعوذ بك من الفقر والقلّة والذلّة وأعوذ بك من أن أَظلِم أو أُظلم»، ومن دعاء آدم عليه السلام ﴿**ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾، وكذلك من دعاء نبي الله يونس عليه السلام ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين**﴾.

ومن اللطائف: أنّ الظلم الذي استشنعه عبد الصمد -من جرّاء سوء فهمه- ورد في أدعية الصلاة: «**اللهم إنّي ظلمت نفسي ظلما كبيرا**»!؟ وكان الصدّيق راوي الخبر! وكان يقوله في صلاته!؟ بل هو من طلب من رسول الله ﷺ أن يعلّمه فقال رضي الله عنه كما في «البخاري 6326» و«مسلم 2705»: «عَلِّمني دُعَاءً أَدعُو بِهِ في صَلاتي، قَالَ: قُلْ: «**اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم**».

ألا يُلاحظ عبد الصمد أنّ النبيّ ﷺ تخيّر له هذا الدعاء؟! فهل سيقول أنّ هذا طعن في أبي بكر رضي الله عنه؟! أم هو مُلزم باتّباع كلام الشرّاح كما ألزمَ الشيخ ماضي؟!

ولا بأس أن أُفيدَه من نفس المصادر التي ينقل منها، لكن أنقل له الكلام بالجزء والصفحة وليس كما فعل في جلّ نقولاته، وكان يسعه أن يعتمد علىٰ ترقيم الشاملة ويذكر ذلك إذا ثقلت عليه مقابلة النصوص والرجوع إلىٰ المصادر الأصلية، لكن للأسف التسرع حال دون ذلك.

وأكتفي بنقلٍ واحد عنهم، وهو قول بدر الدين العيني رحمه الله كما في «عمدة القاري 6/ 239»: «**وفيه الاعتراف بالتقصير ونسبة الظلم إلىٰ نفسه**»، هل رأيتَ يا عبد الصمد أنّ العلماء لم ينكروا لفظة الظلم، ولم يردّوا معناها، وهم أعرف منك بمرتبة الصدّيق رضي الله عنه؟! فكم يصدق فيك قولك الذي خاطبت به الشيخ ماضي: «**وهذا ما يدل علىٰ أنك لا ترجع في فهم أحاديث النبي ﷺ وفي ضبطها لمن تقدمك من أهل العلم، ولمن سبقك من أهل الدراية والفهم، وفعلك هذا ولا مؤاخذة دليل علىٰ التعالم والتعاظم والجرأة والجسارة**».

ثم اعلم يا رجل أنّ أهل السنة ما تركوا مسألة من المسائل المتعلقة بهذا الباب إلاّ وبيّنوها، كما بيّنوا أنّ الصحابة الأشراف حتىٰ لو وقعوا في الظلم فهم مجتهدون لهم عذرهم، وخذ التفصيل الباهر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن الاقتتال الذي وقع بين الصحابة كما في «المجموع 18/ 47-48»: «**فقد جعلهم مع وجود الاقتتال والبغي مؤمنين إخوة بل مع أمره بقتال الفئة الباغية جعلهم مؤمنين وليس كل ما كان بغيا وظلما أو عدوانا يُخرج عموم الناس عن الإيمان ولا يوجب لعنتهم فكيف يُخرج ذلك من كان من خير القرون؟**».

ثم قال رحمه الله : «**وكلّ من كان باغيا أو ظالما أو معتديا أو مرتكبا ما هو ذنب، فهو قسمان متأوّل، وغير متأوّل، فالمتأوّل المجتهد كأهل العلم والدّين، الذين اجتهدوا واعتقد بعضهم حلّ أمور، واعتقد الآخر تحريمها كما استحلّ بعضهم**

أنواع الأشربة وبعضهم بعض المعاملات الربوية وبعضهم عقود التحليل والمتعة، وأمثال ذلك، فقد جرىٰ ذلك وأمثاله من خيار السلف، فهؤلاء المتأوّلون المجتهدون غايتهم أنّهم مخطئون، وقد قال الله تعالىٰ ﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وقد ثبت في الصحيح أن الله استجاب هذا الدعاء... ثم بتقدير أن يكون البغي بغير تأويل يكون ذنبا والذنوب تزول عقوبتها بأسباب متعدّدة: بالحسنات الماحية والمصائب المكفّرة وغير ذلك».

أرجو من أعماق القلب –وأنا والله صادق في كلامي هذا– أن يستفيد عبد الصمد من كلام ابن تيمية رحمه الله فهو يُثبّت الحجة في القلب وبه تفتح أبواب الفهم في هذه القضايا المهمّة، وليعلم عبد الصمد أنّ أمامه تحدّيات كبيرة، وربما سيضطر إلىٰ كتابة ردود علىٰ الروافض أو مناظرة من له شبه في مسألة الصحابة، ولا شك أنّ قمع المُبطل وهداية الغافل لا تكون بالعاطفة المجرّدة التي ظهرت في كتابة الرجل بل تكون بالعلم المحقق الذي مصدره نصوص الوحيين.

بعد كلّ ما ذُكر تلخّص عندنا أنّ سبب تهويل عبد الصمد هو جهله بلغة العرب، وتقصيره الفاحش في معرفة عقيدة أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ، وزاد علىٰ ذلك تحامله علىٰ خصمه وفجوره في خصومته، والله المستعان، وستنجلي أكثر فأكثر هذه الحقيقة فيما تبقىٰ من الردّ.

قال المُتعجرِف: «الفضيحة الرابعة: صورت القصة يا دكتور! وكأنها خصومة عظيمة – كالتي تقع بين عموم المتخاصمين – وقعت بين الشيخين، وصراع كبير

- كالذي يجري بين عوام المسلمين - جرىٰ بين الصحابيين الجليلين؛ وهي إنما كانت محاورة أو مراجعة أو معاتبة كما جاء في مختلف الروايات وقرره علماؤنا الأثبات».

التعليق: الذي صوّر القضيّة وكأنّها خصومة عظيمة هو أبو بكر الصدّيق يا رجل وليس الشيخ ماضي؟! فاتّق الله في قلمك الجائر، وهذا راجع إلىٰ شدّة خوف أبي بكر ﷺ من الله وتعظيمه للمظالم، والذي صوّر القضية كذلك وكأنّها خصومة عظيمة هو عمر الفاروق الذي أبىٰ أن يغفر لصاحبه ثم ندم علىٰ ذلك! فهل يأبىٰ ثم يندم من هوّن من الخصومة؟! إنّك تصورّ القضية يا عبد الصمد وكأنّ الصدّيق جاء إلىٰ النبي ﷺ ضاحكا فرحا، وكأنّ علامات التأثّر لم تكن بادية عليه؟! أغفلتَ يا رجل أنّ رسول الله ﷺ عاتبَ أصحابه بشدّة بسبب هذه الحادثة، وبعدها كما تعلم ما أوذي الصدّيق ﷺ! كيف ترىٰ كلّ هذه الحقائق ماثلة أمامك ثم تعاند وتقول إنّ الخصومة لم تكن عظيمة؟!

ثم نريد منك تكرّما أن تتفضّل علينا بضابط شرعيّ نُفرقّ به بين خصومات العوام وخصومات الخواص من أولياء الله؟! اكتب لنا تفصيلا نعتمده في قبول الأخبار وردّها، لأنّك ترمي إلىٰ قول عظيم جدّا، وهو أن الصحابة لا تقع منهم خصومة مثل التي تقع من سائر البشر! وأنت تعرف أنّ من أشدّ منازل الخصومة الاقتتال! فما أنت صانع بعقيدة أهل السنة في هذا الباب؟ هل ستنكر الاقتتال من أصله ولا

يبعد ذلك، أو تقول به وتمرّ القول فيه كما جاء عن السلف، إنّ السفسطة يا رجل قد أوردتَك شرّ الموارد، فاتركها والزم لغة العلم.

ثم يقال لك: لو فرضنا أنّ الشيخ ماضي هو من عظم الخصومة وهوّل من شأنها، فكان الأجدر بك أن تجيبه: بأنّ تفسير شدّة الخصومة وعظمتها يتفاوت، فهي غير مطّردة المعنىٰ، فما عظّمَه الصحابة في خصومتهم ليس كما يعظمه الناس اليوم في خصوماتهم، فقد يشتدّ الصحابي فيما يراه منكرا فيفعل ما يفعله اليوم الواحد منّا لو خوصِم في حَفنة ملح!

أمّا قولك: «**وهي إنّما كانت محاورة أو مراجعة أو معاتبة كما جاء في مختلف الروايات وقرّره علماؤنا الأثبات**»، فهو قول باطل قادك إليه التكلّف وسوء الفهم وتريد منه نفي الصفات البشرية عن الصحابة ومنها الخصومة، وقد كرّرت هذا النفي في موضع آخر وهو دليل علىٰ رسوخ الخطأ في نفسك، فقلتَ: «**أن هذا الذي وقع بينهما رضي الله عنهما لم يكن شجارا ولا صراعا وإنما محاورة أو مراجعة أو معاتبة كما قرر علماؤنا ودلّت عليه الروايات الثابتة في كتبهم**»، وهو –والله– قول مركّب من جهل وتدليس لأنّك توهم القارئ بأسلوب الحصر «**إنّما**» أنّ ما حدث لا يعتبر خصومة ما دامت الروايات لم تذكر ذلك! وتكذب علىٰ العلماء، وتخفي ما ذكروه في تفسير مفردات الحديث، وهو دليل آخر علىٰ تنكّبك لطريقهم في فهم وشرح هذه النصوص، يقول بدر الدين العيني رحمه الله في «عمدة القاري 16/

359»: «**قوله: فقد غامر: بالغين المعجمة أي خاصم ولابس الخصومة... وقيل من المعالجة أي سارع**»، وسيأتي مزيد بيان في موضع لاحق.

لقد استقرّ الخطأ في قلب عبد الصمد فجرىٰ به قلمه في مواضع كثيرة، فهو يريد تنزيه الصحابة من كلّ الصفات البشرية، حتّىٰ الخصومة حاول تمريرها وكأنّها صفة من صفات الفراعنة والشياطين، والحقيقة: أنّها في معنىٰ المجادلة، فقد جاء في «لسان العرب 2/ 1177»: «**خصم: الخصومة: الجدل، خاصَمه خِصاما ومُخاصمة فخصمه يخصمه خصما: غلبه بالحجة، والخصومة الاسم من التخاصم والاختصام، والخصم: معروف، واختصم القوم وتخاصموا، وخصمك: الذي يخاصمك... وقيل للخصمين خصمان لأخذ كل واحد منهما في شق من الحجاج والدّعوىٰ**».

ولست أدري كيف خفي عن عبد الصمد قول الله تعالىٰ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، وما ورد في سبب نزولها، وأنّها نزلت في حمزة وصاحِبيه رضي الله عنهم وعُتبة وصاحبيه يوم بدر! كما في «البخاري 4743» و«مسلم3033».

إنّ الخصومة يا عبد الصمد في معنىٰ الجدال، لذلك وصف ربّ العزّة والجلال في كتابه ما يجري يوم الحساب بين الناس خصومة فقال سبحانه: ﴿**ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون**﴾، والخصومة التي هي بمعنىٰ الجدال قد تكون بحق وقد تكون بباطل، لذلك جاء في أوصاف المنافقين: «**إذا خاصم فجر**» كما في

«البخاري 34» و«مسلم58»، فليست الخصومة محرّمة في حدّ ذاتها بل المحرّم فيها هو الفجور وإقرار الباطل ورد الحق.

وقد جاء في حديث أم سلمة رضي الله عنها عند «البخاري: ٢٦٨٠ مسلم: ٤٤٧٣»، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنّكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضَكم أن يكونَ ألحنَ بحجّته من بعض، فأقضي له علىٰ نحْو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا، فلا يأخُذْهُ، فإنّما أقطع له به قِطعة من النّار**».

بل أكثر من هذا كلّه: فقد أخبر النبيّ ﷺ عن ربّه سبحانه أنّه خصم لأناس يوم القيامة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند «البخاري 2217» أنّ النبي ﷺ قال: «**قال اللّه: ثَلَاثَة أَنا خَصْمُهمْ يَوْمَ القِيامَة، رَجُلٌ أَعطَىٰ بي ثُمَّ غَدر، ورجل بَاع حرّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفَىٰ منه ولم يعطه أجره**».

وهنا لفتة مهمّة: لو أخذنا هذا الرجل بلازم قوله لاتهمناه بالطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لأنّه صوّرهما في أبشع صورة، فهو يزعم أنّ الذي جرىٰ بينهما مجرّد محاورة! والمحاورة كما هو متعارف عليه لغة وعُرفا تتّسم بالهدوء في الخطاب، فعبد الصمد أظهر الصدّيق وصاحبه وكأنّهما لا يحسنان المحاورة، فغضب هذا علىٰ هذا، وامتنع هذا عن مسامحة هذا، وقال هذا شيئا لهذا، ولم يصطلحا حتىٰ رجعا إلىٰ النبي ﷺ، أراد عبد الصمد أن يفرّ من الخصومة فوقع في خلط شنيع.

أكتفي بهذا القدر، ففيه الغنية إن شاء الله، حتّىٰ لا نتوغل في مباحث هذه المسألة وتجرّنا خطورة الموضوع إلىٰ التطويل الممّل، ويعلم الله أنّني دائما أرغب إلىٰ

الاختصار، لكن ما الحيلة وقد ابتُلينا بالمحرّفين لهذه العقيدة العظيمة التي تركها لنا رسول الله ﷺ صافية نقيّة ليلها كنهارها، فعبثوا ببهائها، ونالوا من رونقها، ووافق ذلك ترأّسهم علىٰ الجهلة، وانخداع العامّة بهم والله المستعان.

قال المُتعجرِف: «أننا ولو فرضنا شجارا وقع بين الشيخين وصراعا شجر بين الصحابيين الجليلين فما هو موقفنا منه يا دكتور؟ أليس من معتقد أهل السنة والجماعة أن نسكت عمّا شجر بينهم، وأن نضرب صفحا عن كل ما ينقل في ذلك عنهم؟ فأين أنت يا دكتور من هذه الأصول السلفية والقواعد السنية؟».

التعليق: وهذه بليّة البلايا التي وردت في مقاله، وهذه التي حملتني علىٰ كتابة هذا الردّ بعدما تصفحت فقراته فوقعت عيني علىٰ هذه الجهالة، وخفق قلبي لهذه الضّلالة، فحينها عزمت علىٰ كشف هذا الإفساد، فما إن طرقت بابه حتّىٰ وجدتُ أخوات هذه الرزيّة قد اصطّفت أمام الباب، فإنا لله وإنّا إليه راجعون.

لقد أجمع علماء الإسلام وأئمّة الحديث علىٰ وجوب الإمساك عمّا شجر بين الصحابة، وليس هذا موضع بيان هذه المسألة لشهرتها عند المسلمين، لكن الذي يجب علينا بيانه وكشف زيفه، هو إسقاط عبد الصمد لكلام الشيخ عبد الخالق – وفقه الله– علىٰ هذه العقيدة! وقد وقع بهذا التصرّف الغريب في تحريف سافر لِما أراده الأئمة من نهيهم عن الخوض فيما شجر بين الصحابة.

وأنا علىٰ يقين أنّ كلّ من وقَف علىٰ مقالة هذا المتكلّف سواء الموافق منهم والمخالف، كان يعتقد من قبل أنّ ما شجر بين الصحابة المقصود به ما وقع بينهم

بعد موت النبي ﷺ، وعلىٰ هذا دلّت كلمات العلماء الصريحة، وإلاّ فليخبرنا عبد الصمد عن حقيقة ما جرىٰ بين الصحابة وما هو مقصود كلام الأئمة من كلمة «**شجر بين الصحابة**»! ولا شكّ أنّ من تأمّل في العلّة التي من أجلها حُرّم علىٰ الناس الخوض فيما شجر بينهم رضي الله عنهم علِم أنّها كانت منتفية في عهد النبيّ ﷺ لأنّه كان هو الحَكَم بينهم بوحي الله سبحانه، أمّا بعده فقد انقطع الوحي فلا يصح دينا أن يأتي واحد ممن جاء بعدهم وينصّب نفسه حكما بينهم كائنا من كان، ولكنّ عذرهم عند أهل السنة أنهم مجتهدون، لذلك اتفق العلماء وقالوا: تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلنكف عنها ألسنتنا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في «المجموع 4/ 266»: «**المختار الإمساك عما شجر بين الصحابة، والاستغفار للطائفتين جميعًا وموالاتهم**»، فمن هم الطائفتان يا عبد الصمد؟! وأين كانتا في عهد النبي ﷺ؟! ننتظر الجواب.

ويقول النووي رحمه الله في «شرح مسلم 18/ 219-220»: «**واعلم أن الدّماء التي جرَت بين الصحابة** رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد، يعني قوله ﷺ «إذا التقىٰ المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم، **والإمساك عما شجر بينهم**، وتأويل قتالهم وأنّهم مجتهدون متأوّلون، لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا»، هكذا تُعالج قضايا الصحابة يا رجل! وهكذا يُتكلّم عن المسائل المتعلّقة بتاريخهم المشرف، وليس بالعاطفة والأحقاد والكذب والتدليس!

هل تعلم ما هو لازم قولك يا عبد الصمد:

فلازم قولك: تحريم النظر في كتب السنة وعلىٰ رأسها البخاري ومسلم، والسنن الأربعة ومسند أحمد وموطأ مالك وغيرها من كتب السنة، لأنّ فيها الشيء الكثير من جنس الخبر الذي أنكرته علىٰ الشيخ ماضي! يقول الذهبي رحمه الله في «السير 10/ 92»: «**كما تقرّر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنه أجمعين وما زال يمرّ بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طَيُّه، وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفو القلوب وتتوفر علىٰ حب الصحابة والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين علىٰ العامة وآحاد العلماء، وقد يرخّص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العريّ من الهوىٰ**»، فالذهبي -علىٰ قول عبد الصمد- ينهانا عن قراءة كتب السنّة بل يطالبنا بإعدامها؟

ولازم قولك: أنّ الصحابة كانوا يتشاجرون بين يدي النبي ﷺ وكثر منهم هذا حتىٰ اضطّر العلماء إلىٰ بيان حكم الخوض في ذلك! وبهذا يتبيّن فساد قولك الذي لو تأمّلت فيه لعلمت بطلانه من أوّل وهلة، لكن حاجز الهوىٰ منعك من ذلك وأوقعك في المهالك.

ولازم قولك: إلغاء أقْضِية النبي ﷺ التي كانت نبراسا أضاء للأمّة الإسلامية، والاستغناء عن أحكامه التي حكم بها بين أصحابه، وترك مسائلها العظيمة التي دوّنها العلماء في كتبهم، فما من كتاب من كتب الحديث إلا وتجد فيه كتب

وأبواب الأقضية والأحكام، فمِن الحُمق بمَكان إلحاقها بقضية ما جرىٰ بين الصحابة، لأنّ النبي ﷺ حكم بحكم الله فيها، فوجب علىٰ الأمّة الانقياد لحكمه.

وهذه أمثلة تقرّب الفكرة وتكشف عن خطورة ما جاء به عبد الصمد:

1- فقول عمر عن حاطب رضي الله عنه: «**دعني أضرب عنق هذا المنافق**»، كما في الصحيحين «البخاري 4274» و«مسلم2494»، لا يجوز ذكره وروايته لأنّها منازعة وقعت بين الصحابة! وهذا حمق نزّه الله أئمة الإسلام عنه، فهذا الإمام ابن القيم في «الزاد 530» يذكر من فوائد القصة: «**جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلما لأنّ عمر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ قتل حاطب بن أبي بلتعة لمّا بعث يخبر أهل مكة بالخبر، ولم يقل رسول الله ﷺ لا يحلّ قتله إنه مسلم، بل قال: وما يدريك لعلّ الله قد اطّلع علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم**»، **فأجاب بأنّ فيه مانعا من قتله وهو شهوده بدرا**».

وكما مرّ بنا من قبل فأهل السنة يوظفون هذه النصوص في نصرة الصحابة وإبراز فضائلهم حتىٰ لو كانت ظواهرها تشعر بالنقيصة، وتأمّل قوة استنباط الإمام ابن القيم لمّا تكلّم عن فائدة من فوائد قصّة حاطب فقال رحمه الله «الزاد 532»: «**فتأمّل قوّة إيمان حاطب التي حملته علىٰ شهود بدر، وبذله نفسَه مع رسول الله ﷺ، وإيثاره الله ورسوله علىٰ قومه وعشيرته وقرابته وهم بين ظهراني العدوّ وفي بلدهم ولم يثن ذلك عنان عزمه...**»، تعلّم يا عبد الصمد واعرف قدر أئمة الإسلام

واحفظ طرقهم المُتقنّة في إبلاغ دين الله تعالىٰ، ودع عنك التهويل والتّعالم والكذب علىٰ الله.

2- وقول عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ كما في «سنن أبي داود 4875»: «**حسبك من صفيّة كذا وكذا**»، هل هو كذلك من النصوص التي لا يجوز نقلها وروايتها لأنّها حادثة جرت بين الصحابة؟!

3- وإخبارنا عن الصحابة الذين وقعت منهم ملاحاة كما في حديث عبادة بن الصامت في «البخاري 2023»، قال: «**خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحىٰ رجلان من المسلمين**»، هل هو إخبار بما جرىٰ بين الصحابة؟!

أكتفي بذكر هذه الأمثلة الثلاثة، لأنّ حصر نظائرها يصعب جدّا، وعبد الصمد يعلمها ولا يجهلها، لأنّ العامة لو سألتهم لرأيت منهم الجواب السديد فهم يدركون أنّ النبيّ ﷺ عاش كل حياته بين أصحابه وكان يحكم ويصلح بينهم، وأنّهم بشر كانوا يُسدّدون ويُصوّبون بنصوص الوحيين فلا عيب في نقل أخبارهم ونشر سيرهم والاستفادة من توجيهات النبي ﷺ وقد كانوا سببا فيها رضي الله عنهم، وكل ما ذُكر منها فيعتبر عند المنصفين في موازين حسناتهم رضي الله عنهم أجمعين.

ولازم قولك: -لو كنت تعقل- أن البخاري ومسلما وكافّة أصحاب الحديث والسنن، قد رووا أخبار الفتنة وما جرىٰ بين الصحابة، ووقعوا في المحظور وخالفوا عقيدة المسلمين، وفتحوا باب شرّ علىٰ الأمّة، وحاشاهم رحمهم الله.

ولازم قولك: أنّك تعتبر مخالفا لإجماع الأمة مُقترفا إثما عظيما، عندما خُضت فيما شجر بينهم ونقلتَ عن الصدّيق الكبير ﷺ أنّه كان هو البادئ، بل واتّهمته ورميته بفاجعة عظمىٰ وهي في كلامك الآتي:

قال المُتعجرِف: «أنّ العلماء لم يفهموا من هذه القصّة أنّ أبا بكر الصديق ﷺ وقع في الظلم الذي هو من أعظم معاصي الله والعياذ بالله ولكنّهم فهموا أنه وقع في خلاف الأولىٰ وهذا هو اللائق بأحوالهم والمناسب لمقاماتهم وهو اللائق بالسني أن يعتقده فيهم ويظنه بأمثالهم: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وهو يعدد فوائد هذه القصة: وَفِيهِ ما طبع عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ حَتَّىٰ يَحْمِلُهُ الْغَضَبُ عَلَىٰ ارْتِكَابِ خِلَافِ الْأَوْلَىٰ لَكِن الْفَاضِلُ فِي الدِّينِ يُسْرِعُ الرُّجُوعَ إِلَىٰ الْأَوْلَىٰ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا"».

التعليق: أوّلا: من تكون يا رجل حتّىٰ تقول عن العلماء لم يفهموا هذا وفهموا هذا؟! وهل عندك أهليّة لتطرح علىٰ الأمّة –وفي أبواب الردود– خلاصات بحثك ونتائج استقراءاتك؟! لقد انكشف المغطّىٰ يا عبد الصمد ولم يعد اللبيب يغترّ بما تقوله وتنقله، بعدما ظهر ضعفك في المباحثات العلمية، وإنّي مذكّرك دائما بضرورة التحفّظ في الكلام ولزوم التقيّد بأدب العلم وأن تقول وتُفهم القارئ أنّ ما وصلتَ إليه متعلّق بيدِك القاصرة القصيرة في البحث.

ثانيا: العلماء فهموا كما تبيّن من قبل أن الظلم هو الظلم ولم يفسّروه بشيء آخر، وإنّما الخلل في فهمك وتصوّرك كما تقرّر، وهم رحمهم الله لم يتصوّروا أن

أمثالك جاهلون بمبادئ العلم ومسلّمات العقيدة، ولم يخطر علىٰ بالهم أن يأتي من يتكلم في العلم ويظنّ أنّ الظلم الذي ذكره أبو بكر ﷺ هو ذاك الظلم بمعناه الذي تريد تقريره، وأغفلتَ أنّ الرجل ولو كان من عوام الناس إذا سمع المتكلّم يقول: لقد ظلمت فلانا! لن يخطر علىٰ باله أنّه سرق ماله أو قتله أو فعل معه الأفاعيل العظيمة، ولن يحصر الظلم في هذه المعاني فحسب، فكيف لو علم أن القائل من صالحي الأمّة.

ثالثا: وقع عبد الصمد في تحريف مشين ووجّه كلام الحافظ إلىٰ منحىٰ آخر، فالحافظ قصد الفاروق عمر ﷺ بقوله خالف الأولىٰ، لأنّ النبي ﷺ في نصّ الخبر دافع عن أبي بكر ﷺ، ومن أجله تمعّر وجهه ﷺ ومن أجله عاتب عمر ﷺ، وفي القصّة ندم عمر ﷺ عن تأخره عن مسامحة أخيه، وهذا هو خلاف الأولىٰ إن كنت ولابد قائلا به، لأنّ العفو مطلب شرعيّ ومن تأخر عنه فقد خالف الأولىٰ في أكثر أحواله! وخلاف الأولىٰ هو أحد قسمي المكروه عند بعض العلماء، ودونه في الرتبة عند آخرين، **ثم قل لّي بربّك**: هل تعتقد أنّ الرجل إذا أغضب صاحبه فقد خالف الأولىٰ فقط؟! وهذا ما ورد في الرواية من إغضاب أبي بكر لعمر ﷺ، ومنها استخرج العلماء فوائد تليق بمعانيها الصحيحة، قال الحافظ «الفتح 7/ 31»: «**وفيه استحباب سؤال الاستغفار والتحلل من المظلوم**».

رابعا: وبهذا يظهر أنّ عبد الصمد وقع في شرّ عمله عندما قال: «**ولكنّهم فهموا أنه وقع في خلاف الأولىٰ**»، وافترىٰ علىٰ أبي بكر ﷺ وهو لا يشعر، وأساء الأدب

مع مقامه الشريف وهو لا يقصد، لأنّ العلماء قصدوا الفاروق بقولهم خالف الأولىٰ، فبأي عقل ودين يرمي هذا الرجل قلمه في مثل هذه المسائل العظام؟! وبأي حقّ يكذب علىٰ الصدّيق ثمّ يوغل في جرمه وينسب كذبه إلىٰ العلماء؟! فأهل السنة يسوقون مثل هذه النصوص ويفسرونها بما يليق بأصحاب رسول الله ﷺ ولا يزيدون ولا ينقصون، ولا يدرجون شيئا من أفكارهم.

قال المُتعجرِف: «صورت القصة يا دكتور! وكأنها خصومة عظيمة - كالتي تقع بين عموم المتخاصمين - وقعت بين الشيخين، وصراع كبير - كالذي يجري بين عوام المسلمين - جرىٰ بين الصحابيين الجليلين؛ وهي إنما كانت محاورة أو مراجعة أو معاتبة كما جاء في مختلف الروايات وقرره علماؤنا الأثبات: أما الروايات فقد روىٰ البخاري رحمه الله القصة بروايتين جاء في الأولىٰ قول أبي بكر رضي الله عنه:"وَقَالَ إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ"، وجاء في الثانية قول أبي الدرداء رضي الله عنه:"كَانَتْ بَيْنَ أَبِىٰ بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ"، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح:"قَوْله كَانَ بيني وَبَين بن الْخَطَّابِ شَيْءٌ فِي الرِّوَايَةِ الَّتِي فِي التَّفْسِيرِ مُحَاوَرَةٌ وَهُوَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ أَيْ مُرَاجَعَةٌ وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ أَبِي يَعْلَىٰ مُعَاتَبَةٌ وَفِي لَفْظٍ مُقَاوَلَةٌ"، قلت: هذه هي الألفاظ التي ذكرها الحافظ ابن حجر رحمه الله وهي كما هو واضح من صنيعه يفسر بعضها بعضا وليس فيها سب ومسابة يا دكتور! يا من توصي طلبة العلم بالقراءة في كتب السلف وأنت بعيد عن الاهتداء بها للأسف»

تعليق: عبد الصمد يصرّ إصرارا رهيبا علىٰ إلصاق التهمة بالشيخ ماضي مع أنّ لفظة «الخصومة» لم ترد في كلام الشيخ، وإنّما جرىٰ بها قلم عبد الصمد ولسانه وانغرست في قلبه لأنّه كاد يعتقد أنّها من نواقض الإيمان التي ينزّه عنها الصحابة! وقد تبيّن بما سقته من الأدلّة أنّ الخصومة من الخلال البشرية، وبينت ثبوتها في نصوص الوحيين، والغريب في الأمر هو وقوعه مرة أخرىٰ في الكذب علىٰ العلماء وتحريف أقوالهم، وذلك عندما قال: «**وهي إنما كانت محاورة أو مراجعة أو معاتبة كما جاء في مختلف الروايات وقرّره علماؤنا الأثبات**»، ومَكْمَن المُعضلة أنّ العلماء الأثبات من شراح البخاري وغيرهم كالحافظ ابن حجر والقسطلاني والكرماني والسيوطي أثبتوا الخصومة في نصّ الحديث، أكتفي بنقلٍ واحدٍ عنهم وهو قول الحافظ كما في «الفتح 7 / 29-30»: «قوله: (فقد غامر) بالغين المعجمة **أي خاصم**، والمعنىٰ دخل في غمرة الخصومة، **والغامر الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحرب** وغيره، وقيل هو من الغمر بكسر المعجمة وهو الحقد، **أي صنع أمرا اقتضىٰ له أن يحقد علىٰ من صنعه معه ويحقد الآخر عليه**، ووقع في تفسير الأعراف في رواية أبي ذر وحده "قال أبو عبد الله هو المصنف: غامر أي سبق بالخير" وذكر عياض أنه في رواية المستملي وحده عن أبي ذر، **وهو تفسير مستغرب والأول أظهر**، وقد عزاه المحب الطبري لأبي عبيدة بن المثنىٰ أيضا، فهو سلف البخاري فيه».

أما باقي الأئمة من غير شرّاح البخاري فقد أثبتوها كذلك، ومنهم علىٰ سبيل المثال الحافظ الأصبهاني رحمه الله كما في «المحجّة 2/ 325» قال: «**قوله: غامر: أي خَاصم**»، وكل من فسّر لفظة «غامر» -سوىٰ ما تقدم عن أبي عبيدة والبخاري- ممن وقفتُ علىٰ كلامه من شراح الغريب أو أئمة اللغة فسرّوها بالخصومة، قال ابن الأثير رحمه الله في «النهاية 678»: «**وفي حديث أبي بكر: «أمّا صاحبكم فقد غامر» أي خاصم غيره، ومعناه دخل في غمرة الخصومة، وهي معظمها، والمُغامر: الذي يرمي بنفسه في الأمور المهلكة، وقيل: هو من الغِمر، بالكسر، وهو الحقد: أي حاقَد غيره**»، وبمثل هذا قال ابن منظور في «لسان العرب 5/ 3294»، وغيره من أهل اللغة، فهل سيطعن عبد الصمد في هؤلاء العلماء حيث أضافوا تفسيرا آخر لـ«غامَر» وهو: «حَاقَدَ»؟! سنرىٰ المغوار ما هو صانع!

قال المُتَعجرِف: «والاهتداء إنما يكون في الخير لا فيما يقع منهم – إن وقع وحاشاهم – من الشر...»

التعليق: عبد الصمد يؤكّد بهذه العاهة العقديّة أنّه إلىٰ تعلم عقيدة السلف أحوج منه إلىٰ الرد علىٰ المشايخ! فهو ينزّه الصحابة في كلامه هذا عن الشرّ بأداة الاستثناء التي تستعمل للتنزيه «حاشا»! وهذا خطأ فاحش يناقض ما يعتقده المسلمون في الصحابة الكرام، لأنّ المنزّه عن الشرّ هو منزّه عن المعاصي كبيرها وصغيرها، واعتقادنا أن الصحابة بشر كسائر البشر، ليسوا بمعصومين من كبائر الذنوب، لا يُنقص -بوجه من الوجوه- من مكانتهم ومنزلتهم، لأنّ الله قد غفر

لهم وتجاوز عنهم، وهذه عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، يقول الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله في «الإمامة ص: 341-342»: «**فالواجب علىٰ المسلمين في أصحاب رسول الله ﷺ إظهار ما مدحهم الله تعالىٰ به وشكرهم عليه من جميل أفعالهم وجميل سوابقهم وأن يغضّوا عمّا كان منهم في حال الغضب والإغفال وفرط منهم عند استزلال الشيطان إيّاهم، ونأخذ في ذكرهم بما أخبر الله تعالىٰ به فقال تعالىٰ ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذي سبقونا بالإيمان﴾، فإن الهفوة والزلل والغضب والحدّة والإفراط لا يخلو منه أحد، وهو لهم عفو**».

لقد حام عبد الصمد–وهو لا يشعر- حول القول «بعصمة الصحابة»، لعدم تصوّره أصل المسألة، فهو يرىٰ أنّ مجرّد القول بأنّ الصحابي يُذنب فهو في حد ذاته طعن في هذا الصحابي! حتىٰ لو كان المتكلم متشبّعا بمعتقد أهل السنة في الصحابة، وصدر هذا منه في سياق الدفاع عنهم وبيّن أنّهم بشر يعصون الله وأكّد علىٰ مغفرة الله لهم، وتجاوزه عنهم! يقول ابن تيمية رحمه الله كما في «منهاج السنة 4/ 336»: «**نحن لسنا ندّعي لواحد من هؤلاء العصمة من كل ذنب، بل ندّعي أنهم من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وعباده الصالحين، وأنهم من سادات أهل الجنة، ونقول إن الذنوب جائزة علىٰ من هو أفضل منهم من الصدِّيقين، ومن هو أكبر من الصديقين، ولكن الذنوب يرفع عقابها بالتوبة، والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة، وغير ذلك، وهؤلاء لهم من**

التوبة والاستغفار والحسنات ما ليس لمن هو دونهم، وابتلوا بمصائب يكفر الله بها خطاياهم، لم يبتل بها من دونهم، فلهم من السعي المشكور والعمل المبرور ما ليس لمن بعدهم، وهم بمغفرة الذنوب أحق من غيرهم ممن بعدهم، والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع».

إنّك تعلم يا عبد الصمد أنّ العصمة من مستلزمات النبوّة ومع ذلك شرحها الأئمة ولم يطلقوا القول فيها، لأنّ الخطأ في مسائل العقيدة ليس كالخطأ في غيرها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «المجموع 4 / 320» متحدّثا عن عصمة الأنبياء: «وعامة ما يُنقل عن جمهور العلماء أنّهم غير معصومين عن الإقرار علىٰ الصغائر، ولا يقرون عليها، ولا يقولون إنها لا تقع بحال، **وأول من نُقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقًا، وأعظمهم قولاً لذلك الرافضة**، فإنّهم يقولون بالعصمة حتىٰ ما يقع علىٰ سبيل النسيان والسهو والتأويل»، هذا في حق الأنبياء! فكيف بإطلاق القول في الصحابة! وادّعاء أنّهم منزّهون من الشرّ هكذا من غير بيان وتفصيل، ولا شك أنّ طالب العلم يدرك مدىٰ خطورة إساءة فهم هذه المسائل لاسيما عند العوام!

فالواجب هو بيان العقيدة الصحيحة في الأنبياء والصحابة حتىٰ لا يختطف أهل البدع عقول العامّة، فإذا نشأ الناشئ وهو يعتقد أنّ الصحابة منزهون عن المعاصي ثم يُشبّه عليه بنصوص من الكتاب والسنة فيها ذكر شيء من معاصي الصحابة، فسيجد في نفسه لا محالة اضطرابا كبيرا وتزلّ قدمه، ولم يكن ليحدث هذا لو أنّه

وجد من يشرح له عقيدة أهل السنة شرحا صحيحا سليما، ويفهمه بأنّ الصحابة بشر يعصون الله، لكن كُتبت لهم المغفرة، وسبق لهم من ربّهم الرضوان، ثمّ يعرض عليه أدلّة ذلك من نصوص الوحيين، حتىٰ يطمئنّ ويسعد بهذه العقيدة.

لقد شرد ذهن عبد الصمد وظنّ أنّ نسبة الشرّ للصحابة ينقص قدرهم ويزعزع منزلتهم، ولو تدبّر بعض النصوص النبويّة لأدرك أنّ النفس البشريّة فيها شرّ، لذلك علّمنا رسول الله ﷺ أدعية كثيرة نقولها في هذا الباب، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان 1/ 90»: «**وقد استعاذ ﷺ من شرّها عموما، ومن شرّ ما يتولّد منها من الأعمال، ومن شرّ ما يترتّب علىٰ ذلك من المكاره والعقوبات**»

أكتفي منها بثلاثة:

1- ما ورد في خطبة الحاجة كما في «سنن الترمذي 1105»، من قول النبيّ ﷺ: «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا**»، يقول ابن القيّم رحمه الله في «طريق الهجرتين 1/ 200»: «**ويترجّح أيضًا بأنّ الاستعاذة تكون قد اشتملت علىٰ أصول الشر كلّه، وهو شر النفس الكامن فيها الذي لم يخرج إلىٰ العمل، وشرّ العمل الخارج الذىٰ سوّلته النفس، فالأول شرّ الطبيعة والصفة التي في النفس، والثانىٰ شرّ العمل المتعلق بالكسب والإرادة، ويلزم من المعافاة من هذين الشرين المعافاة من موجبهما وهو العقوبة، فتكون الاستعاذة قد شملت جميع أنواع الشر بالمطابقة واللزوم، وهذا هو اللائق بمن أوتي جوامع الكلم، فإن هذا من جوامع كلمه البديعة العظيمة الشأن التي لا يعرف قدرها إلا أهل العلم والإيمان**».

2- ومنها ما ورد في «سنن الترمذي 3392»: «**اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه**»، قال القاري رحمه الله في «مرقاة المفاتيح 1/ 49» «**أي من ظهور السيئات الباطنية التي جُبلت الأنفس عليها، وقيل: أي من شر هواها المخالف للهدي**»، ومن اللطائف أنّ أبا بكر رضي الله عنه هو من طلب من النبي ﷺ أن يعلّمه دعاء فعلّمه هذا.

3- ومنها الدعاء الذي علّمه النبي ﷺ لأمّ المؤمنين الصدّيقة بنت الصدّيق رضي الله عنهما كما في «صحيح مسلم 2716»: «**اللهم إني أعوذ بك من شر ما عَمِلتُ، ومن شر ما لم أعمل**»، قال القاضي عياض رحمه الله في «إكماله 8 / 213»: «**أي من شر ما اكتسبته أو أتيته من عمل، وأعوذ من شر ما عملت وما لم أعمل يقتضي شراً في الدنيا، أونسيته، وإن لم أقصده أو في الآخرة، ويكون قصده بذلك تعليم أمته ما يدعون به**».

فخلاصة هذا المبحث: أنّ عبد الصمد جازف مجازفة خطيرة، عندما أشار إشارة مفهومة بأنّ الصحابة منزهون من المعاصي والآثام وذلك في قوله: «**إن وقع وحاشاهم من الشر**»، ولقد أوضح حقيقة ما يرمي إليه في مواطن كثيرة من مقالته السيّئة، فيجتمع بمجموعها معتقد باطل لا يقلّ شرّا عن معتقدات الروافض والنواصب وغيرهم من الفرق الذين ضيّعوا سبيل أهل الحق في تقرير معتقداتهم، وهو السبيل النابع من قول الله تعالىٰ: ﴿**وكذلك جعلناكم أمّة وسطا**﴾.

قال المُتعجرِف: «وإما أنّك صورت القصّة علىٰ خلاف حقيقتها وجعلت الصحابة كأدون النّاس منزلة وأقلهم مرتبة يسبّون ويشتمون وبالكلمات المذمومة يتراشقون وهذه فضيحة كبيرة وزلة خطيرة تتحمل تبعة من أخذها منك وصيرها كما فعلتَ دليلا له علىٰ سوء أخلاقه وقلة أدبه».

إنّ الناظر في مقالة عبد الصمد يجد الرجل ينفر من نسبة أفعال للصحابة هي في الحقيقة من الأفعال البشريّة التي جُبل عليها كل أحد، هذه من جهة، ومن جهة أخرىٰ فهو يتخيّل أشياء ثم يبني أحكاما عليها، ويقع في الكثير من أحكامه في القياس الفاسد، فمثلا: تخيّل أنّ السبّ في معناه اللغوي أو مفهومه العرفي في وقت الصحابة هو ما نراه اليوم في دنيا النّاس من سبّ الأعراض والفحش في الأقوال والذي يصل إلىٰ حدّ سبّ الله عزّ وجل، وهذه هفوة عظيمة أوقعت عبد الصمد في هذه المتاهات الجسيمة.

ولو أنّه تذكّر حديث النبي ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي» عند «مسلم2540»، لَعلمَ أنّ سبب ورود الحديث هي قصّة خالد بن الوليد مع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، قال أبو سعيد: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء **فسبّه خالد** فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحدا من أصحابي...»، وقد جاء تفسير هذا السب في روايات أخرىٰ منها: «**تستطيلون بأيّام سبقتمونا بها؟**»، فتبيّن أنّ قول خالد لأخيه رضي الله عنهما لا يخرج عن عوائد الأقوال عند سائر النّاس، بل جاءت الرواية

الأخرىٰ فأكّدت هذا: «وقع بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد بعض ما يكون بين الناس»، وقد استوفىٰ روايات القصّة السيوطي في «اللمع ص:159».

والرجل لا يعلم أنّ هذا السبّ الذي يريد نفيَه عن أبي بكر ﷺ قد ثبت حتىٰ عن النبي ﷺ! فهل سيردّ عبد الصمد هذه الأخبار وهي في أصح الكتب بعد كتاب الله؟! كما فعل الروافض عندما شوّشوا وزعموا أنّ أهل السنة قد نسبوا إلىٰ نبيّهم الفحش في الكلام! أم سيتَعقّل ويقنع بتوجيه الأئمة وشرّاح الحديث؟!

ففي حديث أبي هريرة ﷺ الذي رواه «البخاري 6361» و«مسلم 2601» في صحيحيهما، قال رسولَ الله ﷺ: «**اللهمَّ إنَّما محمَّد بشَر يغضُب كما يغْضَب البَشَر، وإني قدِ اتخذتُ عندك عهدًا لن تُخلِفَنِيه، فأيّما مؤمِنٍ آذيتُه أو سببتُه أو جلدتُه فاجعلْها له كفَّارةً وقُربة تقرِّبه بها إليك يومَ القيامة**».

وجاء أيضا في حديث معاذ ﷺ الذي رواه «مسلم5947» في صحيحه: «**فسألهما رسول الله ﷺ: هل مسستُما من مائها شيئا؟ قالا: نعم، فسَبّهما النبي ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول**».

فهذه نصوص صحيحة صريحة لا يدفعهما إلا مضروب علىٰ فهمه، وقد أثبتها الأئمّة وفسّروها بعدّة تفسيرات أقربها للصواب ما جاء في «عون المعبود 12/ 415» أنّ ما: «**وقَع من سبِّه ودعائه ﷺ علىٰ أحدٍ ونحوه، ليس بمقصود، بل هو ممَّا جرَتْ به العادة، فخاف ﷺ أن يصادِف شيءٌ من ذلك إجابةً فسأل ربَّه**

سبحانه ورَغب إليه في أن يجعلَ ذلك رحمةً وكفَّارةً وقُربةً، وطهورًا وأجرًا، وإنّما كان يقع هذا منه ﷺ نادرا لأنّه ﷺ لم يكن فاحشا ولا لعّانا».

ويقول الإمام الألباني رحمه الله كما في «الصحيحة 1 / 161»: «**وقد يبادر بعض ذوي الأهواء أو العواطف الهوجاء، إلىٰ إنكار مثل هذا الحديث بزعم تعظيم النبي ﷺ وتنزيهه عن النطق به! ولا مجال إلىٰ مثل هذا الإنكار فإن الحديث صحيح، بل هو عندنا متواتر.. وتعظيم النبي ﷺ تعظيمًا مشروعًا، إنما يكون بالإيمان بكل ما جاء عنه ﷺ صحيحًا ثابتًا، وبذلك يجتمع الإيمان به ﷺ عبدا ورسولا، دون إفراط ولا تفريط، فهو ﷺ بشر، بشهادة الكتاب والسنة، ولكنه سيد البشر وأفضلهم إطلاقًا بنص الأحاديث الصحيحة، وكما يدل عليه تاريخ حياته ﷺ وسيرته، وما حباه الله تعالىٰ به من الأخلاق الكريمة، والخصال الحميدة، التي لم تكتمل في بشر اكتمالها فيه ﷺ وصدق الله العظيم، إذ خاطبه بقوله الكريم: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}**».

فإذا كان هذا السبّ لا يقدح في مرتبة النبوّة والرسالة فهو من باب أولىٰ لا يقدح في مرتبة الصُحبة والإمامة؟! لذلك لا يجد العاقل غضاضة في قراءة وكتابة المرويات التي فيها نسبة مثل هذا السب للصاحبة الكرام مع بيان معانيها الصحيحة وتوجيه العامة إلىٰ فهمها فهما سليما.

ومن لطائف الباب أنّ السبّ الذي أنكره عبد الصمد علىٰ الشيخ ماضي هو ثابت في أصحّ الكتب بعد كتاب الله واتّفق عليه الشيخان، لذلك تقرّر أنّ خطأ الشيخ

عبد الخالق كان في النقل فقط، لأنّه أدرج ما ليس في الحديث، أمّا السبّ في حدّ ذاته فهو ثابت عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تلقّاه الأئمة بالقبول ولم يَعتّرض مُعترض منهم علىٰ لفظ السبّ بل شرحوا متنه وأبرزوا ما فيه من الفوائد العزيزة.

فقد روىٰ «البخاري 602» و«مسلم: 5365» في صحيحيهما: أنّ امرأة أبي بكر الصديقّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت: «**ما حبَسك عن أضيافك، قال: أو ما عشيتيهم قالت: أبوا حتىٰ تجيء قد عرضوا فأبوا قال: فذهبت أنا فاختبأت فقال: يا غنثر فجدّع وسبّ وقال: كلوا لا هنيئا، فقال: والله لا أطعمه أبد، وايم الله ما كنّا نأخذ من لقمة إلا رَبَا من أسفلها أكثر منها، قال: يعني حتىٰ شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر وقال: إنّما كان ذلك من الشيطان يعني يمينه...**»

وبما أنّ عبد الصمد يحبّ النقل من الفتح، سأنقل له كلام الحافظ، فقد قال رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «فتح الباري 6/ 691- 695»: «**سبّ أي شتم**»، ثم قال وهو ينقل فوائد الحديث: «**وفيه جواز سبّ الوالد لولده علىٰ وجه التأديب**»، وقال كذلك: «**العمل بالظن الغالب لأنّ أبا بكر ظنّ أنّ عبد الرحمن فرط في أمر الأضياف فبادر إلىٰ سبّه**».

ويقول العلاّمة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح رياض الصالحين 6/ 73»: «**الإنسان إذا غضب بسبب يقتضي الغضب فإنّه لا يُلام عليه، لأنّ أبا بكر غضب فسبّ وجدع،**

وحتىٰ أنّ ابنه عبد الرحمن اختفىٰ منه خوفا منه وجعل ينادي ويقول: يا غُنثر والغنثر هو الغبي الجاهل، فهذا دليل علىٰ أنّ الإنسان إذا غضب لسبب يقضي الغضب فإنه لا يلام عليه ولا يخدش من فضله ولا مرتبته».

هل سيرجع عبد الصمد للحق، ويلتزم بأقوال العلماء كما كان يطالب الشيخ ماضي؟! وهل سيعترف بقصور فهمه ويقرّ بتجنّيه علىٰ العلم وأهله؟!

يا عبد الصمد ويْحك!

إنّ العلم المُحقّق هو الذي يأخذ بك إلىٰ أبواب النجاة، ويقوّي فؤادك عند مواجهة أعداء الله ورسوله ﷺ، فتكون موفّقا في استعمال براهين القوم وتوظيفها في تعرية باطلهم، أمّا الجهل لاسيما إذا اقترَن بالعاطفة فلن تحصد منه إلا العلقم، وانظر إلىٰ تصرفات أئمة الحديث الأفذاذ في جهادهم الشريف ضد زنادقة الرفض.

يقول الرافضي ابن المطهّر: «**قول أبي بكر: إن لي شيطانا يعتريني، فإن استقمت فأعينوني، وإن زغت فقوّموني، ومن شأن الإمام تكميل الرعية، فكيف يطلبُ منهم الكمال؟**»، فأجابه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله كما في «منهاج السنة 8/ 266»: «الجواب من وجوه: أحدها: أنّ المأثور عنه أنه قال: إن لي شيطانا يعتريني، **يعني: عند الغضب**، فإذا اعتراني فاجتنبوني لا أؤثر في أبشاركم، وقال: أطيعوني ما أطعت الله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم، **وهذا الذي قاله أبو بكر رضي الله عنه من أعظم ما يُمدح به**، كما سنبيّنه إن شاء الله تعالىٰ».

تعلّم يا عبد الصمد –علّمني الله وإيّاك– كيف تفهم هذه النصوص، وطهّر قلبك من عواطف الشرّ، وقيّد نفسك بقيود العدل، واحرص علىٰ ملازمة القراءة في كتب الأئمة الذين انتصروا لأصحاب رسول الله ﷺ نُصرةً شرعيةً سنيّةً سلفيّةً.

ثم انظر في آثار السلف من سادات التابعين ومن جاء بعدهم لتتأكّد أن نظرة القوم كانت معاكسة لنظرتك القاصرة، فهم الأمّة الوسط بين أهل الغلو والجفاء وبين أهل التفريط والإفراط، فلم يقدحوا في صحابة نبيّهم ﷺ ولم يغلوا فيهم، بل قالوا واعتقدوا فيهم بما جاء في نصوص الوحيين، وأنّهم بشر يخطئون ولكن شرّفهم الله بصحبة نبيّهم وغفر لهم وتجاوز عنهم.

فهذا الذي قرّره أئمة السنة في عقائدهم، وأجمعت عليه الأمّة المحمديّة، فلم ينكروا ما يقع منهم أو من بعضهم من مساوئ، ولم يدَّعوا فيهم العصمة، بل أنكروا نشرها واستغلالها في النيل منهم، يقول شيخ الإسلام رحمه الله كما في «الواسطية ص:120»: «**ويقولون: إنَّ هذه الآثارَ المرويَّةَ في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زِيدَ فيه ونُقِص، وغُيِّر عن وجهه الصَّحيح، والصحيح منه هم فيه مَعْذورون؛ إمَّا مُجْتهدون مُصِيبون، وإمَّا مُجتهدون مُخْطِئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أنَّ كل واحدٍ من الصحابة معصومٌ عن كبائر الإثم وصغائره، بل تَجُوز عليهم الذُّنوب في الْجُملة، ولهم من السَّوابق والفضائل ما يوجب مغفرةَ ما يَصْدر منهم إنْ صدَر، حتَّىٰ إنَّه يغفر لَهم من السيِّئات ما لا يُغفَر لِمَن بعدهم؛ لأنَّ لَهم من الحسنات التي تَمْحو السيِّئات ما ليس لِمَن بعدهم**».

يا عبد الصمد ما الذي دفع ابن تيمية إلىٰ تقييد هذه النقاط المهمّة في عقيدته التي كتبها لأمّة النبي ﷺ؟! وما الذي ألجأه إلىٰ القول بأنّ الصحابة يخطئون ويعصون؟! أقول لك: حتىٰ يُخرص الروافض والملاحدة ويقطع عليهم الطريق، ويُجيبَهم عن النصوص الثابتة التي احتجّوا بها، وحتىٰ يعلمنا جميعا ويعلّمك يا عبد الصمد كيف تنشر العقيدة الصحيحة في الناس مطمئنّ القلب مرتاح البال كما كان سلفك رحمهم الله، يقول سعيد بن المسيّب رحمه الله كما في «السنّة للخلالّ 715»: «**شهدتُ عليّا وعثمان وكان بينهما نزغ من الشيطان فما ترك واحد منهما لصاحبه شيئا إلاّ قاله فلو شئت أن أقصّ عليكم ما قالا لفعلت، ثم لم يبرحا حتىٰ اصطلحا واستغفر كل وحد منهما لصحابه**».

وهنا تنبيه مهمّ:

فكما أنّ الإخلال بمعرفة عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام يوقع صاحبه في ورطة الجفاء ويقذف به في أحضان الروافض، كذلك يوقعه في ورطة الغلوّ والتعصّب المذموم وادّعاء ما لم يأذن به الله في الصحابة كالقول بالعصمة أو الميل إلىٰ أحد الصحابة ميلاً يخرج صاحبه من دائرة الإنصاف، يقول ابن تيمية رحمه الله في «المجموع 4/ 264»: «فمن تكلّم فيما شجر بينهم، وقد نهىٰ الله عنه، من ذمِّهم **أو التعصّب لبعضهم** بالباطل فهو ظالم معتد».

ومن نظر في صفحات التاريخ يجد أنّ أقواما وضعوا أحاديث وكذبوا علىٰ رسول الله ﷺ من أجل نصرة صحابي علىٰ آخر، كما فعل المتعصّبة لعثمان ومعاوية

ﷺ، وكان صنيعهم لا يقل خطورة عن صنيع الروافض الذين وضعوا الأحاديث في مناقب أهل البيت، لكن إنصاف أهل السنة وعدلهم كان حاجزا بينهم وبين نشر باطلهم في الأمّة الإسلامية، فكشفوا تلكم الأكاذيب وجعلوها في كتب الموضوعات صيانة منهم لهذه العقيدة العظيمة التي عبث بها عبد الصمد علىٰ مرأىٰ من شيوخه، يقول شيخ الإسلام رحمه الله ردّا علىٰ الرافضي ابن المطهر كما في كتابه العظيم «منهاج السنّة 7/ 365»: «**والجواب من وجوه أحدها المطالبة بتصحيح النقل وقوله «روىٰ الجمهور كافّة» كذب عليهم، فإنّ حديث الطير لم يروه أحد من أصحاب الصحيح، ولا صححه أئمة الحديث، ولكن هو ممّا رواه بعض النّاس كما رووا أمثاله في فضل غير عليّ، بل قد رُوي في فضائل معاوية أحاديث كثيرة، وصُنّف في ذلك مصنفات، وأهل العلم بالحديث لا يُصحّحون لا هذا ولا هذا**».

والخلاصة: أنّ السبّ يعتبر أثرا طبيعيا للغضب، والنّاس متفاوتون فيه، ومنه ما لا يسلم منه حتىٰ الصالحون، ويعتبر ذلك استثناء في أخلاقهم وليس أصلا، والصحابة قد يثابون عليه لاجتهادهم لأنّ أكثر ما وقع منهم إنّما كان بسبب غيرتهم العظيمة علىٰ دين الله، ولو لم يلحقهم الأجر للحقتهم المغفرة كما مرّ بنا، ولو بالغ في السبّ! يقول بلال بن عبد الله كما في «مسلم442»: «**والله لَنَمْنعُهنّ**، فأقبل عليه أبوه ابن عمر رضي الله عنه: «**فسبّه سبّا سيئا ما سمعته سبَّه مثلَه قط**»، فهل سيرد عبد الصمد هذه الرواية لأنّ فيها ذكر السبّ السيّئ؟!

زجر المتعجرِف وكشف فساد بيانه المتكلِّف

بعد أنّ وفّق الله الشيخ الفاضل الدكتور عبد الخالق ماضي –وفقه الله– إلىٰ الرجوع عن هذه الخطأ بطريقة واضحة وصريحة أسعدت قلوب السلفيين، وأبهجت نفوس المحبّين، وأقرّت عيون المعظمّين للصحب الأكرمين، خرج علينا هذا المتكلّف الحاقد ليوقّع علىٰ سجل خسارته، ويؤكّد لنا بالدليل الصريح أنّه صاحب هوىٰ ما حمله علىٰ نقد الشيخ إلاّ محاولة إسقاطه، ولولا ذلك لوجدته فرحا مسرورا بتوبة المخطئ لأنّ ذلك هو المقصود الأوّل عند الناقد الناصح، وحتّىٰ لو كان في بيان المخطئ ورجوعه خلل وتقصير، فلا أقلّ من الترحيب بموقفه المشرّف ثم تنبيهه إلىٰ مواطن الخلل في توبته.

ولو تدبّر هذا الحاقد في مراحل قريبة من مراحل الدعوة السلفية وما مرّ بها من محن وفتن، لعلمَ أنّ مسألة الصحابة وقع بسببها من الحروب ما الله به عليم، فهذا الشريفي يكابر ويعاند بعدما نُصح في إساءته للفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع أنّه لم يُتهم وقتها لا بالرفض ولا بالانحراف بل نبُّه علىٰ خطئه سرّا ونوقش في المسألة من مشايخ أجلاء، ومع ذلك لم يرجع، بل أُعِين علىٰ باطله وكُتب له بحث آثمٌ نَقَلَ فيه صاحبه الشبه الخطيرة ليقرّ كلام شيخه في الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا المأربي، وبعده الحلبي وغيرهم قد انتقدوا في كلمات لهم سيئة في حق الصحابة فلم يرجعوا وكابروا وكتبوا وانتقدوا، فمن تأمّل في هذه الحوادث ظهرت له قيمة هذه الفضيلة التي أكرم الله بها الشيخ عبد الخالق، فالرجل من أعيان البلاد ومن

شيوخها وقد شابت لحيته في الدعوة والتعليم، وقد جاءه الانتقاد من عدوّ لدود ومن هو في عداد طلبته، وشُهّر به ولم ينصح سرّا، ومع ذلك رجع وتاب ونشر ذلك في الآفاق.

لقد اشتدّ حنق عبد الصمد علىٰ الشيخ ماضي بعدما سجّل تراجعه، وهذا ينافي الطبيعة البشريّة التي غُرست فيها الرحمة فِطرةً، وينافي تعاليم الإسلام وأخلاق المسلمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «المجموع 8/ 109»: «**لا يجوز لوم التائب باتفاق المسلمين**»، ولو أنّه عرف حقيقة منزلة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكان فرحه أشدّ بعدما سمع بصوته أن من طعن فيه بالأمس تراجع اليوم عن طعنه! لكن للأسف لم يحدث معشار هذا لأنّ قلب الرجل اختزن من الحقد ما لا يعلم حجمه إلاّ الله.

يا عبد الصمد لقد انقلبت عندكم الموازين وانعكست عندكم قواعد التقويم فالحسنة عندكم سيّئة، وما يمدح به الرجل عندكم يذمّ به، لأنّ الهوىٰ هو من يحرّككم، ولو صدقتم لعلمتم أنّ الرجل كلّما استقرّ الخطأ في قلبه وطال به الزمن معتقدا وناشرا له، وكثر الناقلون عنه، المستفيدون منه، كلّما كبُرت عليه التوبة وصعب عليه التراجع، فإذا تشجّع وأعلن رجوعه كان ذلك من أعظم وأجل مناقبه التي تذكرها الألسن والأقلام، وهذا الذي حدث للشيخ ماضي –حفظه الله– والعجيب أنّك امتُحنتَ في نفس القضية فبان عيبُك وظهر شرّك لأنّك ظهرت أوّلا في ثوب البطل الذي كشف للأمّة خطر ماضي وعندما رجع الشيخ كبر عليك

الترحيب برجوعه وكلّ ذلك بسبب الهوىٰ، وتمعّن في هذه الدرّة العجيبة التي جادت بها قريحة العلامّة المعلّمي اليماني رحمه الله حيث قال في «القائد إلىٰ تصحيح العقائد 197»: «**جرّبت نفسي أنّني ربما أنظر في القضية زاعمًا أنه لا هوىٰ ليَ، فيلوح لي فيها معنىٰ، فأقرّره تقريرًا يعجبني، ثم يلوح لي ما يخدش في ذاك المعنىٰ، فأجدني أتبرم بذاك الخادش، وتنازعني نفسي إلىٰ تكلّف الجواب عنه وغض النظر عن مناقشة ذاك الجواب!! وإنما هذا؛ لأني قررت ذاك المعنىٰ أولاً تقريرًا أعجبني فصرت أهوىٰ صحتَه، هذا مع أنّه لا يعلم بذلك أحد من الناس، فكيف إذا كنتُ قد أذعته في الناس ثمّ لاح لي الخدش؟ فكيف لو لم يلح لي الخدش ولكنَّ رجلاً آخر اعترض عليَّ به؟ فكيف إذا كان المعترض ممّن أكرهه؟**»، نسأل الله أن يطهّر نفوسنا من عوالق الشرّ المُهلكة، وأن يُبصّرنا مسالك هؤلاء الأئمة الأفذاذ، الذين جاهدوا أنفسهم قبل أن يجاهدوا عدوّهم، فانساقت لهم نفوسهم راغمة ذليلة.

وقبل أن أسوق شيئا من خسّة المتطاول لا بأس أن أضع بين يدي القارئ نصّ تراجع فضيلة الشيخ الدكتور عبد الخالق ماضي –حفظه الله– حتىٰ يقارن بينها وبين ما افتراه وعارض به هذا الجاني هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإنّ تباعد الزمان ينسي مثل هذه المواقف، وربّما سيصبح هذا التراجع في عداد المفقود، ويبقىٰ ردّ هذا المتعجرف هو المتداول بين النّاس، لذلك رأيت من المصلحة أن أُضمّنه هذا الرد ليبقىٰ شاهدا علىٰ جُرم هذا الجاني، ويكون هذا المقال مرجعا لهذه الفضيلة العظيمة التي شرُف بها الشيخ ماضي.

قال فضيلة الشيخ عبد الخالق ماضي –وفقه الله– **بعد يوم واحد** من كتابة المتعجرف ردّه السّقيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ نبيه الأمين، محمد بن عبد اللّه وعلىٰ آله وصحبه تسليما مزيدا إلىٰ يوم الدين، وبعد:

فإني أنا عبد الخالق بن محمد ماضي الفقير جدا إلىٰ عفو ربه والخائف من عذابه وانتقامه، أبرأ إلىٰ الله من كل طعن أو انتقاص أو ما يؤول إليهما في كل صحابي ولو كان صغيرا لم تحصل له إلا رؤية فضلا عن كبيرهم و أفضلهم صديق هذه الأمة أبي بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنا أعتقد الاعتقاد الجازم الذي لا شك فيه أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبر هذه الأمة بعد نبيها قلبا، وأصدقها لهجة وحديثا، وأعمقها علما، و أنه من أهل الجنة قطعا هو وباقي العشرة ومن شهد لهم رسول اللّه ﷺ بأعيانهم والبدريون وأصحاب بيعة الرضوان ومن حسن إسلامه من اللاحقين وغيرهم، وأعتقد جزما أنهم أفضل ممن جاء بعدهم جيلا بعد جيل لقول النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسه بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم و لا نصيفه**» وإني إذ أعلن هذه العقيدة، أقول: إنه قد صدرت في صوتية سجلت لي في مدينة القليعة بحضرة مجموعة من طلبة العلم تكلمت فيها عن وجوب التخلص من تقديس الأشخاص وأن هذا يؤول إلىٰ الاعتقاد الفاسد، أعني تقديس الأشخاص يؤول إلىٰ الاعتقاد الفاسد ومما ذكرته نسبة بعض

المقلدة ممن يتسمون بطلبة علم أن فلانا إذا قلت له: عفوت عنك، تكون بهذا قد نسبته إلىٰ الظلم، ثم ذكرت أن الظلم قد يقع ممن هو أعلىٰ قدرا وأبعد شرفا منه ومن المتكلم ذاته و استدللت بحديث البخاري في القصة التي كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ووقعت في هذا البيان في خطأين أتراجع عنهما ديانة لله وحفظا لجناب وكرامة الصحابة عموما وحفظا لكرامة وجناب الصديق الأكبر خصوصا.

والخطآن هما:

أولا: أنني قلت بأن أبا بكر سب عمر وهذا لم يرد في شيء من السنة فيما أعلم والسبب في هذا خيانة الذاكرة، أستغفر اللّه وأتوب إليه من هذا الخطأ الكبير وهو غير مقصود والله عليم بذلك.

الثاني: أنني قصرت تقصيرا فاحشا في البيان وكان ينبغي أن أذكر بعد إقرار أبي بكر رضي الله عنه بأنه كان أظلم بأنه غفر له ذلك بدعاء النبي ﷺ وهو قوله: «يغفر اللّه لك يا أبا بكر»، وبعفو الفاروق عمر رضي الله عنه فكان لا شيء ولهذا ذكر القصة البخاري في مناقب أبي بكر، ثم أقول لمن يسمع هذا البيان: أنني شديد التأثر بهذه القصة لما حوته من تزكية عظيمة للصديق الأكبر وهي قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**فهل أنتم تاركوا لي صاحبي**» فقال عمر: «**فما أوذي أبو بكر بعدها**».

وأخيرا: أقول لمن نسب إلي الطعن في الصديق الأكبر؛ لا أبقاني اللّه إن رضيت بثلب الصحابة أو أحدهم و لو كان أدناهم منزلة، **و إنك لتعلم يا عبد الصمد و يا ابن عمه** ويا من ترجف في البلاد، أنني من أبعد الناس عن هذا الخلق الذميم و

العمل القبيح و اذكر يا عبد الصمد أنني كنت أعلمك هذه العقائد وتعلم مني ما لا يعلمه غيرك ؛ فاتق الله في أخيك الذي لم يؤذك بأدنىٰ إذاية منذ عرفته ولم تر منه ما يعاب هذا العيب الشنيع؛ فالظلم ظلمات يوم القيامة وقد بدأتها أنت وابن عمك بالنميمة والتحريش وانتهيت بها إلىٰ القدح في العقيدة و الله الموعد!

وإني شاكر لكل من عرفني بخطئي وعيبي، سواء ممن كان يوافقني ويحبني أو ممن كان يخالفني؛ فأنا أقبل النصح وأتراجع عن الخطأ غير متلكئ في ذلك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أملاه من البيت الحرام بمكة المكرمة عبد الخالق بن محمد ماضي ليلة الأربعاء الثالث من ذي الحجة عام تسعة وثلاثين وأربع مائة وألف للهجرة، الموافق للرابع عشر من الشهر الثامن من عام ثمانية عشر وألفين.

انتهىٰ بيان الشيخ الذي أملاه من الحرم المكّي، وهو مقبل علىٰ عبادة جليلة، والله لقد أشفقت علىٰ هذا الجاني من دعوات قد تصيبه من مظلوم قصد بيت الله المحرّم لإقامة فريضة من فرائض الله العظيمة وركن من أركان الإسلام وإنّ الله لناصر المظلوم ولو كان في بلاد الكفر، بل ولو كان كافرا فكيف وهو في أطهر وأشرف بقعة علىٰ وجه الأرض، لكنّ الظالم يوغل في ظلمه عندما لا يرىٰ عقاب الله نزل في حينه وهي من عظيم حِكَم الله في الاستدراج، يقول رسول الله ﷺ كما روىٰ «البخاري4686» وغيره: «**إنّ الله ليملي للظالم، حتىٰ إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾**».

بداية الوقفات

قال المتعجرف: «كنت كتبت – والحمد لله والفضل له وحده سبحانه – ردا علىٰ صوتية للدكتور! طعن فيها في الصديق الأكبر رضي الله عنه وأرضاه بوصفه له بالظلم المحرم وذكرت والحمد لله وجوها عشرة تدينه وتبين عظيم جرأته وجسيم تطاوله...»

التعليق: قد ظهر للمنصفين هُزال مقالك، وحقيقة تشنيعك، وإنّما يستحضر فضل الله ورحمته وتوفيقه من يوفّق لعمل جبّار يستشعر فيه نعمة الله عليه، لكنّك مسكين طربت مسامعك لتصفيقات من أراد بك شرا فأولجك في هذه الموالج المُميتة، فصرت تتخبّط في مسائل العقيدة، وتنطّ كالمجنون مقرّرا ومؤصّلا في قضايا منهجية أزّقت العلماء الكبار، أسأل الله أن يخلصك من هذا المأزق.

أمّا قولك عن الشيخ ماضي –حفظه الله– أنّه طعن: «**في الصديق الأكبر رضي الله عنه وأرضاه بوصفه له بالظلم المحرّم**» فهو بغيّ تتحمّل وزره في الدنيا والآخرة، وهو تحريف للتاريخ وتزوير للأحداث، ولو أنّك راقبتَ ربّك وخفت مقامه **لحسبت للأجيال حسابهم، وتحفّظتَ في كلامك حتىٰ لا يقال أنّ المنقول عنه رافضي عدوّ للصحابة** لأنّ توصيفك لا ينطبق إلاّ علىٰ من كان هذا حاله، أمّا ما وقع من الشيخ فهو مجرّد خطأ غير مقصود صدر من قلب ينضح بتعظيم الصحابة ﷺ، وليست هي بالكلمة التي «**تدينه وتبين عظيم جرأته وجسيم تطاوله**»، كما زعمت كذبا وزورا، والله حسيبك.

قال المتعجرف: «صحيح أن الذاكرة قد تخون في إسقاط كلمة ثابتة أو إثبات أخرىٰ ليست بثابتة، ولكن في الإثبات لا يمكن أن تثبت للمُتكَلِّم عنه ولو خانتك ذاكرتك إلا ما تراه مناسبا له وتعتقده لائقا به أو علىٰ الأقل ممكنا منه واعتبر هذا بالأمثلة التالية فهل يمكن أن تخونك ذاكرتك وأنت تتكلم علىٰ الصديق رضي الله عنه فتقول: "خان أو كذب أو غش أو نحوها"»

التعليق: الرجل يؤكّد ما قرّرتُه عنه فيما سبق، ويبيّن أنّه لم يهضم عقيدة أهل السنة في الصحب الكرام، وهذا الكلام الذي قاله في هذه الفقرة ينطبق عليه انطباقا تامّا، فهو يكرّر هذا الخطأ لأنّه تقرّر في نفسه وربط عليه قلبه.

وقد ذكرتُ في نقد كلامه أنّ خطأ الشيخ يكمن في نقله للفظٍ لم يثبت، ونسبتُه إياه للبخاري، أمّا «السبّ» الذي نسبه الشيخ لأبي بكر ﵁ فقد مرّ أنّه ثابت في نصوص الشريعة وهو لا ينافي منزلة أبي بكر الرفيعة، أمّا قولك «**فهل يمكن أن تخونك ذاكرتك وأنت تتكلم علىٰ الصديق رضي الله عنه فتقول: خان أو كذب أو غش أو نحوها**»، فهو إيغال في المكابرة، لأنّ الشيخ متخصص في الحديث وقد أَلِفَ وتعوّد هذه اللفظة في نصوص السنة وآثار السلف فهو ليس بمتطفّل علىٰ كتب الحديث مثلك يا عبد الصمد، وثانيا أنتَ تَعلم جيّدا –وربّما لا تعلم– أنّ هذه الخصال الذميمة التي أردت إلزام الشيخ بها كالكذب والغشّ، لا يصح نسبتها لأصحاب رسول الله ﷺ، يقول ابن العربي المالكي ﵀ في «المسالك 6 2014»: «**وللبشر صفات منها كمال ومنها دناءات، فأمّا صفات الكمال فهي له**

–**يقصد النبي ﷺ– ولأصحابه الكرام علىٰ التمام والكمال**»، أمّا صفات الغضب والسبّ وغيرها فهي لا تنافي الكمال لأنّها كما تقرّر صدرت من الأنبياء والصحابة، وحتّىٰ في واقعنا المشاهد فنحن نرىٰ الرجل الصالح يغضب ويقول في حال غضبه ما لا يقوله في حال رضاه، أمّا الخيانة والغش والكذب فهي من الدناءات التي لا تقع منه في غضبه ورضاه.

وحتّىٰ لو فرضنا جدلا ورودَ بعض الأخبار التي فيها نسبة صفات الغشّ أو الكذب من صحابي لكان الواجب علىٰ طالب الحق أن ينظر في أسانيد هذه الأخبار هل هي صحيحة أو لا، وإذا صحّت فعليه أن يدقق النظر في معاني ما جاء فيها، فمثلا الكذب عند العرب من أشهر معانيه الخطأ فإذا وجدت صحابيا وصف أخاه بالكذب فهو يقصد تخطئته، وهلمَّ جرا، فلا تتسرع يا عبد الصمد إلىٰ إنكار الخبر والطعن فيمن رواه كما فعلت مع الشيخ عبد الخالق.

وهنا لفتة مهمة:

حول التلازم الواقع في ذهن عبد الصمد بين ثبوت قصّةٍ عن صحابي وبين الحكم عليه ووصفه بموجب ما جاء فيها من صفات، **وتوضحيه**: أنّ الصدّيق قال: والله كنت أنا أظلم، فعبد الصمد يعتقد أن هذا يستلزم وصف الصدّيق بهذه الصفة، فيكون ظالما! ولم يفرّق بين الظلم في قضية وبين اتّصاف الرجل بصفة الظلم وكأنّه خلق فيه متجذّر، لذلك حرّف معنىٰ الظلم وأنكر علىٰ من نقله، وهو غلط

مكشوف، وكذلك فعل في مسألة «السبّ» بعدما تخيّل أنّ الرواية يلزم منها القول بأنّ الصدّيق سبّابٌ فاحش اللسان والله المستعان.

وجواب هذا باختصار شديد وأرجو من عبد الصمد أن يركّز معي:

أنّ من المسائل الجليلة التي ينبغي معرفتها في باب الصحابة: **أنّ الله تعالىٰ قد يقول في الصحابة ما لا نقوله نحن، والنبي ﷺ قد يقول في أصحابه ما لا نقوله نحن، والصحابي قد يقول في صاحبه ما لا نقوله، بل قد يقول عن نفسه ما لا نقوله نحن.**

فلا يجوز اتفاقا أن يقول الرجل عن الصحابة أنّ الشيطان يستزلّهم ويطلق هذا القول مجرّدا، وحجّته في ذلك قول الله تعالىٰ عنهم: ﴿**إن الذين تولوا منكم يوم التقىٰ الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**﴾، فمن كان ذاكرا هذه القضية ولابد فعليه أن يسوق الآية كاملة ليعلم السامع أنّ الله قال في تمام الآية: ﴿**ولقد عفا الله عنهم إنّ الله غفور حليم**﴾، ولا يجوز أن يوصف الصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه بأنّه امرؤ فيه جاهليّة ولا أن يقال هذا في ترجمته! بحجة أنّ النبي ﷺ وصفه بذلك! فهو ﷺ يقول في أصحابه ما لا يجوز أن نقول نحن فيهم، ولا يجوز أن يقال في حاطب أنّه منافق لأنّ عمر الفاروق وصفه بذلك كما في الحديث الذي مرّ بنا! ولا يجوز أن يقال في الصحابي ما يقوله هو عن نفسه كما في حديث أبي بكر رضي الله عنه، فقد وصف نفسه بالظلم فلا يجوز لكائن من كان أن يصفه بالظلم! وهنا وقع الخطأ من الشيخ عبد الخالق –حفظه الله–.

فكان من المفترض أن ينكر عبد الصمد علىٰ الشيخ هذه النقطة ويلزمه بهذا الإلزام، ويقول له: **لا يجوز لك أن تطلق القول بأنّ أبا بكر يظلم! وكان عليك أن تسوق الحديث ثم تقول من تواضع الصدّيق ومن خشيته وتقواه وصف نفسه بالظلم في هذه الواقعة، فكيف لا يتواضع من هو دونه، ثم تشرح الحديث وتفسره وتستخرج منه مناقب الصحابي كما مرّ بنا بيانه**، لكن الرجل تنكّب هذه الطريقة السلفية في تقرير المسائل العقدية، وخالف هدي المُصلحين في الأخذ بأيادي المخطئين.

قال المتعجرف: «ومن هنا كانت إدانتك بالفضيحة السادسة لأن السني المعظم للصحابة الكرام العالم بمكانتهم ومنزلتهم في دين النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكنه أن ينسب إليهم – مهما كان – ما لا يتناسب مع مقامهم لأن عقيدته سوف تمنعه وحسن ظنه فيهم سيحجزه، أما أنت فلم يحجزك ذلك فإما أنه لا علم لك بمنهج أهل السنة والجماعة في معاملة هؤلاء الصحابة الكرام وإما أنك لا تعمل بعلمك ولا تُقيد بالعقيدة التي تدعي معرفتك بها نفسك».

التعليق: قد ظهر بما لا يدع مجالا للشك من هو الجاهل بمنهج أهل السنة في معاملة الصحابة، واتّضح خلطك وخبطك في المسألة، وأنّك سائر علىٰ طريقة أهل الأهواء في تقرير العصمة وزدت عليهم مسالك جديدة لم يتفطنوا لها، فأنت تقول الآن وتؤكد كذلك أنّ المسألة استقرّت في نفسك علىٰ غير وجهها فها أنت تنافح مرة أخرىٰ وتدّعي أنّ الغضب والسبّ لا يليق بمقامات الصحابة فقرّرت

كما في كلامك هذا: «**لا يمكنه أن ينسب إليهم – مهما كان – ما لا يتناسب مع مقامهم لأن عقيدته سوف تمنعه وحسن ظنه فيهم سيحجزه**».

إنّ مفاسد هذا الفهم المنتكس لشديدة ومدمّرة، فقد يأخذها من يحسن الظن بالرجل وبكتاباته لاسيما من الناشئة كيف لا وقد وُضع هذا المتحامل في غير موضعه وتم تشييخه علىٰ رؤوس الأشهاد كذبا وزورا، قلت: قد يغترّ الجاهل بمقاله ويعتقد أنّ ما فيها هو الحق الذي يُدان الله به، ويجد نفسه مع مرور الوقت معتقدا العصمة في الصحابة وهو لا يشعر، ويردّ الأحاديث التي يتحسّس منها ويجد فيها ما لا يلائم عقيدته ولو كانت في البخاري! كما وقع في قضية الظلم والسب، وقد يتحامل علىٰ علماء الأمّة كشيخ الإسلام وغيره، إذا ما اطّلع علىٰ كتبهم في نقد معتقدات الرافضة، ويقف علىٰ مسائل الباب الدقيقة، وقد وقع هذا من قبل من طوائف زعموا أن شيخ الإسلام متحامل علىٰ علي ﷺ، ومن المفاسد الخطيرة المترتبة علىٰ هذه المقالة أنّ الجهلة إذا وقفوا علىٰ آثار الصحابة المستفيضة التي ورد فيها خوفهم من الله واحتقار أنفسهم سيردونها حتما لأنّها تنافي علىٰ حسب معتقدهم الباطل منزلة الصحابة، لاسيما إذا تأكدوا أن الروافض قد استغلوا لجهلهم وحمقهم هذه الآثار في النيل من الصحابة، حيث قالوا مثلا: هذا عمر وقد اعترف بظلمه وذنوبه وخاف من لقاء الله فكان يقول: ليت أمّ عمر لم تلد عمر! وهذا الفهم الحقير لكلام النّاس قد يقع فيه من نحن بصدد الحديث عنهم، لذلك كانت الأمّة الإسلامية أمّة وسطا لا تحكم بالعاطفة والمشاعر،

فباطل الروافض يرد بالكتاب والسنة وليس بالأهواء والمغالبة ولو بنية نصرة الحق وأهله.

قال المتعجرف: «أن طريق العلماء الراسخين في العلم بل وحتىٰ طلبة العلم الملتزمين والمستقيمين علىٰ العلم أنهم يتحرزون في كلامهم ويتجنبون ما فيه قدح في معتقدهم أو ما يوقع سوء الظن بهم أو يوهم السامعين خلاف مقاصدهم وبخاصة إذا تعلق الأمر بالكلام علىٰ أهل المقامات الرفيعة والمنازل العالية...».

التعليق: نعم أيّها المتكلّف هذه هي الطريقة العامة، وهذا هو الأصل الذي بنوا عليه مسلكهم في الخطاب والكتاب، لكن هذا لا يلزم منه العصمة من الأخطاء، لذلك فرّق أئمة الإسلام كابرا عن كابر بين الداعية إلىٰ بدعته والمتخفّي بها، وفرّقوا في تبديع المخالفين بين المعتقد لبدعته المنافح عليها وبين من زلّ وأخطأ من غير قصد لكنّ هو علىٰ الطريقة السلفية في هذا الأصل الذي أخطأ في بعض جزئياته، كمن كان الأصل عنده هو إثبات الصفات علىٰ الوجه الذي يليق بجلاله سبحانه من غير تمثيل ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تحريف، فهذا إذا أخطأ في تأويل صفة من الصفات لا يُرمىٰ بالأشعرية والاعتزال بل يبيّن وجه غلطه، ولا يشنّع عليه كما يشنّع علىٰ الأشعري الذي أصّل وتأصّل علىٰ أراء الأشاعرة، والأمر سواء في أبواب الصحابة فالرجل إذا عُلمت عقيدته في الصحب الكرام ثم أخطأ في كلمة ولم يتقصّدها فهذا يُبيّن له ويُنبَّه علىٰ خطئه، وإذا رجع يُشكر ويُحمد ولا يُلام ويُعاتب، أمّا إذا كابر فيُحذّر منه ويُنكّل به ولا كرامة.

فالحاصل يا عبد الصمد:

أنّ التنظير باللسان، وتطويل الكلام، يقدرُ عليه جميع النّاس، أمّا العمل بموجب ما عرفنا من القواعد والأصول، والتزام ذلك في كل أقوالنا وأفعالنا، فهذا لا يُوفّق إليه إلاّ موفّق، فالتحرّز الذي تُدندن عليه هو غاية ما يَأملُه الصادقون في هذه الدنيا، وعزاؤهم قول رسول الله ﷺ الذي رواه «ابن ماجة 277»: «**استقيموا ولن تحصوا**»، أي: اجتهدوا في تحقيق الاستقامة ولن تحصوا كمالها! لذلك رحم الله سبحانه أمّة رسول الله ﷺ فقال في كتابه: ﴿**لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها**﴾، وليس من وسع العالم مهما بلغت منزلته أن يتحرّز في كل أقواله وفتاويه، لذلك ليس من شرط الإمامة في الدين أن يسلم الرجل من الأخطاء كبيرها وصغيرها، وبهذا يتبيّن حجم الهوّة الوخيمة التي وقع فيها عبد الصمد عندما أظهر الشيخ عبد الخالق وكأنّه وقع فيما لا يقع فيه النّاس، وقرّر أنّ عدم تَحرُزّه دليل علىٰ عدم أهليّته!

قال المتعجرف: «قول الدكتور في آخر كلامه السابق: "وهو غير مقصود والله عليم بذلك" اعلم يا دكتور أنه لا علاقة لنا بالبواطن وإنما نعامل الرجل علىٰ حسب الظواهر ولذلك ننكر علىٰ العبد وندينه بما يظهر لنا منه أما سريرته فهي موكولة إلىٰ العالم بها المطلع عليها وبناء علىٰ ذلك يكون يوم القيامة الحساب والثواب والعقاب، أما نحن فمأمورون أن نرد المنكر إذا ظهر كل علىٰ حسب مقدرته واستطاعته».

التعليق: أوّلا: أليست عقيدة الشيخ في الصحابة من الظواهر التي كان لزاما عليك أن تعتبرها في هذه القضيّة؟ أليس ثناء الشيخ علىٰ أبي بكر ﷺ من الظواهر التي كان ينبغي أن تراعىٰ في نقدك؟! مع أنّه كان في نفس الموضع الذي انتقدتَه فيه!

ثانيا: كيف فهمت من قول الشيخ «وهو غير مقصود» أنّه يردّ عليك وينكر علىٰ من انتقده؟! بل الشيخ كما هو ظاهر واضح في كلامه يبرّر موقفه ويظهر عذره، وهذا شأن العقلاء، فلو أنّه قال: لماذا رددتم عليّ وأنا لم أقصد الإساءة لأبي بكر ﷺ لكان اعتراضك وجيها، لكن هو يقول في معرض التراجع والتوبة أنّه لم يتقصّد ذلك! فلا أدري والله ما هو مِعيارك في فهم كلام النّاس؟! وهل صرت تهوّن من المقاصد بهذه الطريقة الخسيسة وتخالف شريعة الرحمن في اعتبار القصد وتهوّن من آثاره في الكثير من العبادات؟! إنّ ما صرّحت به يا عبد الصمد في هذا البيان هو دليل آخر يشينك ويؤكّد جهلك الذي صَدَعْتَ به في مقالك الأوّل عندما نسفتَ قصد الشيخ وأظهرته وكأنّه رافضي أراد النيل من أبي بكر ﷺ.

ثالثا: ويأبىٰ صنيعك إلاّ أن يفضحك ويكشف كذبك، تدّعي أنّك لم تتكلم عن قصد الشيخ وأنك اكتفيتَ بالظاهر! فقل لي بربّك ما معنىٰ قولك: «**رُحت تلملم في التراجع وتقدم رجلا وتؤخر أخرىٰ محاولا المحافظة علىٰ مكانتك من أن تتصدع**» وقولك بعده: «**ألم يكن كافيا لك أن تعترف بذنبك وترجع عن غيك دون البحث عن مخرج يبقي علىٰ مكانتك في قلوب المغترين بك**»! وقولك: «**أم أنّ الأمر لما تعلق بشخصك والدفاع عن نفسك تركتها وتنكّبت طريقها؟**» فهل هذا

التشكيك في النوايا بل الجزم بما تكنّه النفس من الخبايا، هو من الحكم بالظاهر؟! ثم تقول بكل وقاحة: «**وإنما نعامل الرجل علىٰ حسب الظواهر**»! هل رأيته قد أظهر بصريح عبارته أنّه قصد بتوبته الحفاظ علىٰ مكانته؟! فسرّ لنا معنىٰ الظاهر والباطن وأرحنا! لأنّك لا تفهَم كلام الناس ولا يَفهمُ الناس كلامَك.

وفي ختام هذه الوقفات أذكّر عبد الصمد بأمر مهمّ:

لقد كنت قبل هذه الفتنة أقلّ شُهرة منك الآن، وكنت مغمورا لا يعرفك إلاّ أهل مغنيّة، وكنت يومها أقلّ الناس كتابة وأقلّهم كلاما، فكان من المفترض ومن اللائق بك اليوم وقد عرفك القاصي والداني بسبب تَنَوُّرِ الشُهرة الذي قذفك فيه من لا يريد لك الخير، أنّ تعكس القضيّة وتقلّل من كتاباتك وتحسّن ما تخرجه للناس منها، لأنّ كثرة الأتباع عند الأتقياء مجلبة لخشية الله، فإذا علم العاقل أن عددا كبيرا من القراء سينظرون في مقالته كان ذلك مدعاة لتحرير عبارتها وتدقيق مسائلها، والتأمّل الطويل قبل اختيار الموضوع والولوج في معتركه، وقد روىٰ ابن عبد البر في «جامعه 830» عن عقبة بن مسلم أنّه قال: «**الحديث مع الرجل والرجلين والثلاثة، فإذا عظمت الحلقة فأنصِت**»، حتّىٰ لا تطغىٰ حينها لأنّ: «**للعلم طغيانا كطغيان المال**» كما نقل أبو نعيم في «الحلية 5 / 55» عن وهب بن منبّه رحمه الله.

فهذا التفكير الراقي والنظر الثاقب سُلب من المسكين عبد الصمد، لأنّه اعتبر لأوّل وهلة أنّ الشهرة والتزكيات هي من قبيل الفتوحات والكرامات، ففرح بها

وابتهج، ثم اجتهد وكافح من أجل أن يُثبت لشيوخه وللناس كافّة أهليّتِه لتلك التزكيات، فوقع علىٰ أمّ رأسه، وسعىٰ إلىٰ حتفِه بظلفه، ﴿**ومن يهنِ الله فما له من مُكرم**﴾.

قال المتعجرف: «إنّ وصف عبد الخالق لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بالسب والظلم المحرم وقع منه في مناسبات متعددة ومواطن عدة وكنت قد ذكرت هنا موطنا ثانيا ذكر السب فيه وهي صوتية وهران ولم أطلع علىٰ ما كتبه أخونا أبو عبد الرحمان محمد الجزائري إلا هذه الصبيحة وفيما كتب ذكرُ موطن ثالث وهذا مما يؤكد أن وقوع الدكتور فيما وقع فيه لم يكن عن خيانة الذاكرة وإنما عن رأي راسخ وأمر مستحكم...».

التعليق: ما أبعدك يا عبد الصمد عن الإنصاف؟! ففي ميزانك المائل لا يُقبل التراجع إلاّ ممّن صدر منه الخطأ مرّة واحدة؟! أمّا من تمسّك بخطئه وردّده كثيرا في مجالسه ثم تبيّن له الحق فهذا عندك يُذمّ ويُنكر عليه؟ لأنّ الخطأ ترسّخ في قلبه! والله لا أدري كيف هي رؤيتك لمن بقي من المشايخ والعلماء زمنا طويلا ولم يظهر له الحق في بعض المسائل! فهذا الأشعريّ وقد بقي أربعين سنة ينافح عن عقيدة المعتزلة –أقول: ينافح عن عقيدة وليس مجرد خطأ واحد- فكان من المفترض أن يُشنّع عليه؟! وكذلك أبو حامد والجويني وغيرهم ممّن أفنوا أعمارهم في نصرة الباطل ثم أكرمهم الله بالتوبة والإنابة، فجميع هؤلاء لا تساوي توبتهم مقدار ذرّة عند هذا المتشدّق الثرثار.

فوائد وعبَر من قصّة أبي بكر وعمَر ﷺ

إنّ أخذ العبرة من أخبار الأوّلين هو شأن عقلاء البشر، لذلك قال الله جلّ وعلا في كتابه المجيد: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾، ولشدّة حاجة النّاس إلىٰ النظر في قصص من سبقهم والاقتداء بمن صلح منهم، لم يستثن الله تبارك وتعالىٰ حتّىٰ نبيّه ﷺ فقال له: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللهُ فبِهداهم اقتدِه﴾، وبيّن سبحانه أنّه يريد تثبيت نبيّه ﷺ بهذه القصص فقال جلّ وعلا: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وإنّ من أشدّ الأخبار وقعا في نفوس الصالحين، ومن أعظم القصص تحريكا لمشاعر المؤمنين، تلك الوقائع التي سطّرها المهاجرون والأنصار مع نبيّهم محمد ﷺ الذي حكم بينهم وعاشرهم، والوحي ينزل إقرارا وإنكارا، فَبِذا عظمت الفائدة، وبهذا اشتدّت حاجة البشريّة إلىٰ معرفة تفاصيل تلكم الأحداث.

وحتّىٰ لا نجاري المتعجرف المتعالم الذي أعطىٰ هذه الوقائع الجليلة حكم الخوض فيما شجر بين الصحابة ﷺ، وحرّم علىٰ الأمّة بجهله وتهوّره النظر فيها والأخذ من معينها، أذكر في نقاطٍ وجيزة ما ظهر من فوائد قصّة أبي بكر مع عمر ﷺ، ويكفي الكاتب شرفا أن يستلهِم الدرر الغوالي من واقعة جرت بين جبلين شامخين بحضرة نبيّ الأمة وسيد الخلق محمد ﷺ، وسأحصر هذه الفوائد فيما تعلق منها بالفتنة التي نعيشها اليوم.

فمن فوائد هذه القصة العظيمة: عِظم وفاء رسول الله ﷺ لصاحبه الصدّيق الذي كان نِعم العون له وقد فداه بماله ونفسه، حتىٰ قال ﷺ كما في حديث الباب: «**الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي، مرتين فما أوذي بعدها**»، هلاّ أخذت هذه الفائدة أيها المتعجرف، وكنت وفيّا لشيخك ماضي الذي قضىٰ جُزءا من حياته معلّما ومواسيا لكم في الوقت الذي كان البعض يثقل عليكم بزياراته الكثيرة التي ما عُرف عنها إلا اللهو واللعب والتحلّق في حلق الذبائح والمشويات، والتنزّه وركوب الخيل والسفن! نعم في ذلك الوقت كان الشيخ ماضي مجتهدا في شرح الكتب والمتون، وإذا كنت منصفا أخبرنا كم شرح لكم من كتاب!

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: رحمة الخلق والشفقة علىٰ الأخ والصاحب كما فعل أبو بكر مع أخيه عمر رضي الله عنهما، «**فأتىٰ إلىٰ النبي ﷺ فسلم فجعل وجه النبي ﷺ يتمعّر حتىٰ أشفق أبو بكر فجثا علىٰ ركبتيه فقال يا رسول الله والله أنا كنت أظلم**» فهل اقتديتم بصنيع هؤلاء الأشراف؟ وهل رحمتم إخوانكم عندما ألّبتم عليهم السفهاء، وطعنتم في أعراضهم، ونالهم من ألسنتكم ما لم يتجرّأ عليه من قبل رؤوس الضلالة! وحادثة هذا المتعجرف لتنضح بصدق ما ذكرتُه هنا، فكان بوسعه لو كان رحيم القلب أن يُراسل الشيخ سرّا حتىٰ يرجع ويتوب، وحتّىٰ لا يستغلّ هذه القصّة الروافض في البلاد! ولا أظنّه فكّر فيهم!

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: الحكم بفساد قول المفرقين: **العبرة بحاضر الرجل وليس بماضيه**، واعتبارهم مجرّد ذكر جهود الرجل من الموازنات! فهذا رسول البشريّة محمد ﷺ يذكُر ماضي الرجل ويُذكّر بجهوده! وإنّكم والله قد تنكّبتم صراط هذا النبي العظيم ﷺ، وجهّلتم خصومكم بتمسّكهم حبل سنّته، ولم تفرّقوا بين معاملة السلفي إذا أخطأ وخالف في جزئيات وبين معاملة من ناقض الأصول ورفض النصائح، فالأوّل يُردّ عليه بالحكمة والعدل، وحتىٰ إذا انحرف وتبيَّن خطره فأهل السنة من أنصفِ وأعدلِ الخلق، فعداوتهم لا تحملهم علىٰ المجاهرة بالتنكر لجهوده السابقة! فما بالكم بمن ثبتت سلفيته ولم يصدر منه ما صدر إلاّ بتأويل أو غيره ممّا يحمل عليه الطبع البشريّ.

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: أنّ مكانة الرجل ومنزلته في قومه -مهما بلغت- لا تمنعه من التواضع، ولا تحجزه عن احتقار النفس، لاسيما في الخصومات! فلا يتقوّىٰ -باسمه ومكانته- علىٰ خصمه! بل يعفو ويصفح ويتجاوز، وهي منزلة الصدّيقين التي شَرُف الصدّيق الكبير بحظّها الوفير، وحكم علىٰ نفسه بأنّه كان أظلم وهذا من تواضعه ومن هضم حقّه، ومن شدّة خشيته لربّه، وهي منقبة عظمىٰ لأبي بكر رضي الله عنه أساء المتعجرفون فهمها! وإنّ هذا التواضع من هذا الرجل العظيم ليعتبر حجّة علىٰ المتكبّرين الذين فرّقوا السلفيين من أجل أعراضهم، وأظهروا بلسان حالهم وبسوء واقعهم أنّهم لا يخطئون في حق الناس، وأنّهم

مبرؤون ومنزهون من كل مظلمة صغيرة كانت أو كبيرة، وهي نظرة فرعونية مهلكة، سيجد صاحبها عاقبتها المهولة ولو بعد حين.

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: الرجوع لأكابر الأمة، وعلماء الملّة، كما فعل أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإنّ الفتنة التي نراها اليوم إنّما هي أثر واضح من آثار الإخلال بهذه الفريضة، فالصدّيق لم ينظر إلىٰ مكانته ولم يحدّث نفسه بأنّه صدّيقٌ مُصدَّقٌ عند رسول الله ﷺ وأنّه صاحب سبق، وإنّما رجع للأعلم الذي يحكم بالوحي بين عباد الله، وهو الواجب علىٰ طلبة العلم والمشايخ عند التنازع أن يجعلوا وجهتهم إلىٰ الكتاب والسنة فإن تعارضت فهومهم فالحَكَم هو العالم الكبير الذي يثق الجميع في علمه وعقله! وفي زماننا هذا من ذا الذي يُنازع في أهليّة العلامة الإمام ربيع السنة وأخويه عبيد الجابري وعبد الرحمن محي الدين وكذا باقي إخوانهم من مشايخ السنة كالشيخ البخاري والشيخ سالم بامحرز–حفظ الله الجميع–، أمّا أن يقنع الرجل بمكانته وعلمه وينتظر رضوخ الجميع إلىٰ حكمه فهذا والله خطر علىٰ الأمّة، لابد من التحذير منه.

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: أنّ علاقة العلماء فيما بينهم ينبغي أن يُنظر إليها أحيانا بمنظور البشريّة، لأنّ ما يظهر منهم من وفاق وأخوّة ومودّة، لا يمنع أن تكون بينهم أشياء تجعل أحدهم أحيانا يغضب علىٰ أخيه، فهذا أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقد عُلمت مكانتهم الجليلة، حتىٰ قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا بالذين من بعدي: أبو بكر وعمر**»، وهو تشريف أدرك قيمته العلماء، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ

«المجموع 18/ 16»: «**فهذان أمر بالاقتداء بهما، والخلفاء الراشدون أمر بلزوم سنتهم، وفي هذا تخصيص للشيخين.. فيدخل فيها الاقتداء بهما فيما فعلاه مما لم يجعلوه سنّة**»، فإذا كان صاحب هذا المقام قد يصدر منه ما يلائم بشريّته وهو معتقد أهل السنة قاطبة، فكيف بغيره! ولهذا لم يركّز المتعجرف علىٰ ما ذكره الحافظ في الفتح: «**وفيه ما طبع عليه الإنسان من البشرية حتىٰ يحمله الغضب علىٰ ارتكاب خلاف الأولىٰ، لكن الفاضل في الدين يسرع الرجوع إلىٰ الأولىٰ**».

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: التي أخفاها المتعجرف ولم يبدها مع أنّه رجع إلىٰ كتاب «الفتح» لابن حجر! وهي قول الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وفيه أن غير النبي ولو بلغ من الفضل الغاية ليس بمعصوم**»، فهل عرف القارئ الآن لماذا أخفىٰ هذه الفائدة؟! لأنّ موضوع العصمة قد شوّش عليهم، وأضحىٰ يؤرّقهم، ولولا رحمة الله بهذه الأمّة حيث أبقىٰ فيها من كشف زيف هذه الفئة! لرأيتَ القول بالعصمة مقرّرا في المقالات والصوتيات علىٰ الطريقة الشَعرانية، ولرأيتَ المعصومين قد تجاوز عددهم الاثني عشر! فلك الحمد ربّي كما تحبّ وترضىٰ.

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: المأخوذة من قول أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ثمّ ندمتُ**» وما جاء في نصّ الخبر: «**ثمّ إنّ عمر ندم**»، أنّ الرجل ولو بلغ شأو الفضائل، وكان بدرا في قومه، فعليه أن يحاسب نفسه، ويجادل فِكره، ولا يطمئنّ لرأيه، لذلك شُرعت المشورة والاستخارة، حتىٰ لو كانت المشورة من الفاضل إلىٰ المفضول، والله يقول في كتابه لنبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وشاورهم في الأمر﴾، فأين المتهّور المتسرع والمغرور

بنفسه من هذه الأخبار الجليلة؟! ما أحوجه للاعتبار بها، وهو المِقدام في تثبيت رأيه وكأنّ وحي السماء قد نزل عليه مصوّبا رأيه ومؤيّدا قراره، تمرّ الأيّام والأشهر ولا تجد منه تراجعا أو ندما لا نقول عن موقفه! بل علىٰ جزئية واحدة من جملة ما ملأ به الدنيا من الكلام والكتابة! فاللّهم رحماك.

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: خطورة المنّ والأذىٰ في ميدان الدعوة! فهذا أبو بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أنفق في نصرة رسول الله ﷺ من نفسه وماله وكان ذلك في وقت الحاجة! وهذا الذي جعل له المنزلة العظيمة في قلوب المسلمين إلىٰ يوم القيامة! ومع ذلك لم يقل لا في هذه الحادثة ولا فيما سبقها ولا فيما جاء بعدها من الحوادث أنّني فعلتُ وفعلت! وقدّمت وضحّيت، ولم يطالب أصحابه ومن جاء بعدهم بحفظ كرامته لأنّه سبقهم ووقف ضدّ عدوّهم وحده! وصدق الله إذ قال: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ نعم! إن كنتم صادقين! فمدار القضية علىٰ الصدق لو كنتم تعقلون!

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: أنّ الصادق المنصف عندما يرجع إلىٰ الأئمة في خصوماته مع الناس فعليه أن يُفصّل ويذكر ما جرىٰ ولا يكتفي بمجرد الدعاوىٰ العريضة، فأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما وصل إلىٰ مجلس رسول الله ﷺ ذكر له الحادثة بإنصاف عظيم يليق بمقامه الشريف، وذكر أنّه ندم بما يشعر السامع أنّه

كان المخطئ! فأين من هذا من أشغل الأمّة بتباكيه وبظلمه وتعدّيه، وكأنه المعصوم الذي لا يخطئ، وفوق هذا كلّه يكذب علىٰ خصمه، ويفتري عليه.

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: أنّ شكوىٰ الرجل للعالم! ليست من الغيبة والإفساد، فأبو بكر ﷺ قدِم إلىٰ رسول الله ﷺ وحدّثه عن أخيه الفاروق، ولم ينكر عليه النبي ﷺ، لأنّه فعل ما أمر به شرعا، والعالم له من القدرة والأهليّة ما يحكم به، فإن كان استفتاء أفتاه بشرع الله، وإن رأىٰ مصلحة في حضور الخصم فعل ذلك، فالمسؤول ناصح مشفق علىٰ المسؤول، ومن تأمل في واقعنا اليوم يجد أنّ الظلم أصبح علامة ظاهرة عند كثير من المنتسبين إلىٰ الدعوة! فتجد بعضهم وقد وقع هذا يقول: لماذا كنت تأتيني وتشتكي من فلان! وأغفل المسكين أن صاحب الشكوىٰ قصده لأنه يعتقد فيه العلم والمشيخة! وتجد الآخر يعتبر سؤال السائل غيبة وتحريشا وطعنا! بل شنّع علىٰ من كتب للعلماء سرّا بينه وبينهم واعتبر ذلك من الإفساد! بل زعم بعضهم أنّ فلانا أراد إسقاطه عند العلماء!

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: وجوب احترام الأئمة والعلماء، والتزام فتاويهم وأحكامهم المبنيّة علىٰ كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، ويؤخذ ذلك من نصّ الخبر «**فما أوذي بعدها**»، أي بعدما وقفوا علىٰ دفاع رسول الله ﷺ عن الصدّيق ﷺ، فمن العيب بمكان أن ترفض أحكام العلماء وتردّ أقوالهم، لا لشيء إلا لمخالفتهم لأهوائنا ومواقفنا المناقضة لهدي الإسلام! وإذا تكلمنا عن العلماء فالمقصود أولئك الذين جعلهم الله ورثة للأنبياء بالقول والفعل وليس كل من

وُصف في زمن الجهل بأنّه من الأئمة وقُدّم للمسلمين علىٰ أنّه مجدد العصر وحقيقة حاله تنبئ عن خلاف ذلك من كل الوجوه.

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: أنّ تهمة «التأكّل بالدعوة»، كلمة حق قد يراد بها باطل في الكثير من الخصومات! وقد أخطأ خطأً فاحشا من أطلقها ورمىٰ بها إلىٰ العوام والجهلة من غير قيد ولا ضابط ومن غير تعريف لها، فأضحىٰ سفلة المجتمع يرمون أشرافه بهذه الفاقة الجسيمة التي تسقط الجبال! فهذا رسول الله ﷺ يقول: «وواساني بنفسه وماله»، فليست كلّ مواساة بالمال تعتبر تأكّلا بالدعوة، وانتفاعا بحطام الدنيا باسم الدين! وليس كل من قبل الانتفاع بمال المحسنين يعدّ متاجرا بالدعوة، إنّ العلم يا قومنا لا يقوىٰ علىٰ نشره كما يرتضيه الله ورسوله إلاّ الجهابذة، وقد ظهر ذلك جليّا في هذه الفتنة، ومثاله قضية التأكّل بالدعوة التي عجز مخترعوها عن ضبطها بضابط الدين البعيد عن كل تحامل.

ومن فوائد هذه القصة العظيمة: وجوب احترام العلماء عند التحاكم وقبول أقوالهم النابعة من معين الكتاب والسنّة، واجتناب التحامل عليهم إذا ما أصدروا فتاواهم وأحكامهم قاضية بتخطئتنا، لا سيما وقد عرف صدقهم وإخلاصهم، وظهر وفاء هؤلاء الجبال لهذه الدعوة، فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه قبل حكم رسول الله ﷺ بعدما رجع إليه، وهو من هو في الجرأة والشجاعة وقول الحق وقد عُلمت موافقات ربّ العالمين لهذا الخليفة الراشد حتىٰ أُلّفَت فيها المؤلفات، ومع ذلك خضع للحق واستجاب لحكم رسول الله ﷺ.

أهمّ نتائج البحث

أوّلا: وقوع الشيخ ماضي في خطأ غير مقصود، وسُرعة تراجعه بعدما وقف علىٰ خطئه مع أنّ مُنتقدَه في عِداد أعدائه وخصومه، وصغار طلبته وهي منقبة عزيزة.

ثانيا: تحريف عبد الصمد لعقيدة المسلمين في الصحابة والذي حمله علىٰ الوقوع في هذه الجريمة شدّة حقده أولا وجهله بهذه المسائل ثانيا.

ثالثا: نفيه لمسائل وروايات ثابتة في أصح الكتب وجهله بتعريفات العلماء لبعض المصطلحات، كنفيه للسبّ، والخصومة، والشرّ، وجهله بمعاني الظلم وحقيقة ما وقع بين الصحابة.

رابعا: خطورة ما وقع فيه -وهو لا يشعر- من اعتقاد عصمة الصحابة، بعدما استعمل طرقا ملتوية في إثباتها، وهو الذي حذّر الشيخ ماضي من خطر لازم القول.

خامسا: فريته التي ألصقها بأبي بكر الصديق ﷺ عندما زعم أنّه خالف الأولىٰ ﷺ، ووقوعه في التقليد الأعمىٰ للعلماء عندما اعتمد قول ابن حجر.

سادسا: إقحامه للقضية التي وقعت بين الدعاة، وإظهاره لموقفه المتحيّز، وهو ما جعلنا نؤكد علىٰ سوء قصده الذي جرّه لكتابة ردّه علىٰ الشيخ ماضي.

سابعا: رفضه لتراجع الشيخ بتلك الطريقة العنيفة، وقد أقام بخرجته هذه دليلا آخر علىٰ شرّ نفسه، وأنّه ما كتب مقاله إلاّ لينصر باطله وباطل شيوخه.

الخاتمة ختم الله لي وللقارئ بالحسنى

بعد إتمام هذه الجولة المُتعبة، للعاقل أن يقول: أين شيوخ هذا الرجل من هذه البلايا؟! وهل المشرف علىٰ منتديات «المَطّة» لا تتحركّ مشاعره وهو يُعاين هذا العبث؟! أو أنّه لا يستوعب هذه المسائل؟ فيا ويل عبد الصمد من انحرافه الذي لم يجد من يقوّمه، فلو كنت يا رجل بين إخوانك كما كنت سابقا في منتديات التصفية لرأيت الألطاف تنزل عليك، إما بحذف المقال، وإما بتعديل فقراته، وإما بحظرك! أمّا وأنت بين الحاقدين والجهلة بمسائل الدين، فافعل ما شئت وستكون فيهم رأسا عاجلا غير آجل، لأنّك تقوم بالمهمّة الموكلة إليك أحسن قيام، بل أكثر مما توقعه السادة، وأختم بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه نور الحق يلخّص المعضلة بأحسن عبارة، قال كما في «المجموع 10 / 113»: «وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض؛ **قلبه رقيق لمن يعينُه عليها**، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم، فيبذل لهم الأموال والولايات، **ويعفو عنهم ليطيعوه، ويعينوه**، فهو في الظاهر رئيس مطاع، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم، والتحقيق أن كليهما فيه عبودية للآخر، **وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله**، وإذا كان تعاونهما علىٰ العلو في الأرض بغير الحق؛ كانا بمنزلة المتعاونين علىٰ الفاحشة»، والحمد لله ربّ العالمين.

كتبه: أبو معاذ محمد مرابط

04 ذو الحجة 1439 هـ

الفهرس

المقدّمة.....3

نماذج من سوء أدب عبد الصمد.....4

الطليعة في نقض التهويلات الشنيعة.....10

نصّ كلام الشيخ الذي انتقده المتعجرف.....10

جواب مختصر عمّا انتقده عبد الصمد علىٰ الشيخ وموقفي من كلام الشيخ...10

وقفات علىٰ ما صدر من المتعجرف من بليّات..... 23

تنبيه: حول التزام عبد الصمد بوصف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «بالصدّيق الأكبر» 26

كذبة مفضوحة علىٰ الشيخ.....27

احذر يا عبد الصمد من لازم قولك أنّ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان هو البادئ!.....29

تحقيق مسألة الظلم التي أثارها عبد الصمد.....31

عبد الصمد يكذب مرة أخرىٰ وتحقيق القول في مسألة الخصومة..... 36

لفتة مهمّة.....39

بليّة البلايا وهي متعلقة بمسألة الخوض فيما شجر بين الصحابة.....40

بيان المفاسد المترتبة علىٰ لازم قول عبد الصمد 42

فاجعة عظمىٰ..... 45

كذب مفضوح علىٰ علماء الأمّة وشراح البخاري خاصّة..... 48

مصيبة أخرىٰ يقع فيها عبد الصمد تدلّ علىٰ سوء فهمه..... 49

تحقيق مهم ومختصر في مسألة السبّ التي أظهرت جهل الرجل..... 54

يا عبد الصمد ويحك!..... 58

تنبيه مهمّ..... 60

زجر المتعجرِف وكشف فساد بيانه المُتكلِّف..... 62

سبب تحامل الجاني علىٰ الشيخ وتفسير رفضه لتراجعه..... 62

نصّ تراجع الشيخ عبد الخالق..... 65

ظلم عبد الصمد وتجنّيه وعدم مبالاته بحرمة التاريخ..... 68

لفتة مهمّة..... 70

القاعدة العظيمة والأصل الأصيل..... 71

فوائد وعبَر من قصّة أبي بكر وعمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا..... 79

الخاتمة..... 89

الفهرس 90